الفصل

التاسع

المنهج والإنسان الجديد

يتطرق هذا الفصل لدراسة الموضوعين التاليين

- سمات الإنسان الجديد.
- دور المنهج التربوى فى إكساب المتعلم سمات الإنسان الجديد:
  - ثقافة العقل.
  - التكنولوجيا الإنسانية.
  - الحوار مع الآخر.
  - قدرات الإبداع والابتكار.
  - الاستفادة من العولمة.

تمهيد:

تدور المداولات والمناقشات على مستوى المسئولين الرسميين، وبين المثقفين فى الدول النامية، حول طبيعة وكينونة عصر العولمة. لذا ، تطرح الأسئلة: كيف نحمى هويتنا الثقافية؟. كيف نحمى الاقتصاد القومى أمام هيمنة النظام العالمى الجديد؟ كيف نحرر التجارة المحلية، ونفك قيودها، لتتواكب مع سياسة التجارة العالمية؟ كيف نحمى السياسات القومية فى ظل عالم مفتوح؟ كيف نستفيد من الاستثمارات الأجنبية المباشرة؟ كيف...، كيف...، إلخ.

السبب الرئيس لتفجير الأسئلةآنفة الذكر، ولغيرها، يعود إلى التطور التكنولوجى وسرعة الإتصالات، اللذين غيرا الكثير من المفاهيم، التى ظلت كثوابت لعشرات السنين. ونتيجة للتطور التكنولوجى وسرعة الاتصالات، ظهرت الآراء التى تشكك فيما يحدث من حولنا، وعادت النبرات عالية الترددات تطرح الأفكار التى تحذر من الاستعمار الجديد، والتى تؤكد أن النظام العالمى الجديد يهدف السيطرة والهيمنة، ويعمل على تهميش الدور القومى، ومسخ الهوية القومية.

والحقيقة، إن التحفظات والمخاوف آنفة الذكر، لا يمكن أن يكون لها وجود حقيقى، فى ظل أمة زاخرة بالعقول القومية الواعدة، إذ عن طريق هذه العقول، يمكن الاستفادة من الانفتاح والتطور، وجعلهما كأداتين مهمتين من أدوات تأكيد الذات، وصناعة وبناء حضارة إنسانية جديدة، وتحقيق التقدم فى شتى المناحى، سواء أكانت اقتصادية أم سياسية أم اجتماعية أم تعليمية، ... إلخ.

ويقدم (عادل العدوى) مزيدًا من التأكيدات التى تبرز أهمية التلاحم والتفاعل مع ظروف العصر، دون الخوف والرهبة من المتغيرات الجديدة التى يحملها لنا النظام العالمى الجديد، فيقول[1]:

ولا أتصور أن الانفتاح العالمى يهدف تهميش أحد، إنما يساعد على

زيادة التعاون والتسامح بين الأمم؛ من أجل تعظيم الإفادة من الإمكانات المتاحة بأفضل الأساليب لتحقيق أكثر الفوائد، وكلما زادت الأسواق النشيطة، زادت حركة التعامل واستفاد الجميع.

لقد تغيرت فى العالم الجديد معايير القوة، فلم تعد المساحة وعدد السكان والثروات الطبيعية هى الفيصل، إنما النشاط الإيجابى واستعمال وسائل العصر والقدرة على الانتشار والوجود فى الأسواق.

فعلى المستوى الثقافى، لا ينكر أحد أن الانفتاح والحوار بين الثقافات يوسع من قدراتنا وإمكاناتنا على فهم العصر الذى نعيش فيه، وكيفية التعامل مع الشعوب التى تحيط بنا.

وعلى المستوى الاقتصادى، أصبحت المنافسة أساسية والانفتاح الاقتصادى الذى يقنن باتفاقات منظمة التجارة العالمية، يتحقق بسرعة من أجل تحرير التجارة العالمية. ولا مفر من الاندماج فى الاقتصاد العالمى، ولا مفر من إيجاد قاعدة للإنتاج الحديث الجيد مع تطوير آليات التسويق؛ من أجل مواجهة المنافسة العالمية الشرسة، ولن يتحقق ذلك إلا بتنمية القدرات المحلية وتوفير أفضل مناخ للاستثمار لجذب الشركات المتعددة الجنسية.

وعلى المستوى السياسى، أيضا، تغير الكثير من المفاهيم،ولم تعد نظريات الأمن القومى والسيادة كما كانت، خاصة بعد أن فتحت الحدود بين الكثير من الدول، ولم يعد هناك شىء يمكن إخفاؤه، كما أن تطور الأسلحة التقليدية وأسلحة الدمار الشامل جعل أمن الدول كافة فى خطر جسيم؛ لذا فإن دعوة التخلص من أسلحة الدمار الشامل على المستوى العالمى قد بدأت بالفعل، ولكن بالتدريج والتوازن؛ بحيث أصبح من الممكن التصور بإمكانية التخلص من هذه الأسلحة. ولاشك أن سياسة الانفتاح العالمى ستكون عاملا إيجابيا لتكثيف الجهود والضغوط لتخفيف أسباب التوتر للجميع؛

خاصة أن التطورات قد أثبتت أن هذا السلاح لم يستعمل إلا م
واحدة فى التاريخ، كما أن امتلاك الاتحاد السوفيتى السابق للترسا
النووية لم ينقذه من التفكك. إن أسلحة الدمار الشامل باهظ
التكاليف، فيها الكثير من الأعباء وللمخاطر على البشرية جميعا، سو
من يمتلك أو لا يمتلك هذه الأسلحة، و يجب تكثيف الجهود الدولية
من أجل التخلص منها حماية للبشرية.

إذًا، انفتاح أية أمة على العالم، ينطلق من قوتها وإمكاناتها الذاتية، ومن قدرتها على التطور التكنولوجى والانفتاح على العالم الجديد بمفهومه الجديد.

والسؤال: كيف يمكن تحقيق الإنفتاح على العالم الجديد بمفهومه الجديد، دون خوف أو رهبة من فقدان الهوية أو مسخ الثقافة القومية؟.

إن الإجابة السهلة البسيطة عن السؤال السابق، تتمثل فى إعداد المواطن الجديد، الذى يستطيع فهم العالم الجديد بمتغيراته وظروفه الجديدة، والتعامل معه بذكاء وحنكة وفطنة، من مركز الند للند، وليس من مركز التابع أو الخاضع لتعليمات أو أوامر الغير. ولكن، تحقيق هذا المطلب ليس بالأمر السهل الميسور؛ إذ إن إعداد المواطن الجديد، يتطلب المعرفة الكاملة للمواصفات التى ينبغى أن يكون عليها هذا المواطن، كما يستوجب التحديد الدقيق للأساسيات التى عن طريقها يمكن إعداده، وذلك يمثل بيت القصيد لهذا الفصل.

سمات الإنسان الجديد:

من منطلق أن الدول المتقدمة هى التى تحكم وتشكل سياسة العالم، فإننا نرتكز على رؤية بعض هذه الدول المتقدمة للعالم وللجنس البشرى، إذ فى ضوء هذه الرؤية ظهرت بعض وجهات النظر، التى تحدد للإنسان الجديد، سمات بعينها.

وبالنسبة لرؤية بعض الدول المتقدمة، فإننا نسترشد بوجهة نظر كندية، وبوجهة نظر أخرى يابانية، علما بأن هاتين الدولتين من الدول السبع العظمى، التى تتحكم فى آليات اقتصاد عصر العولمة.

١ - بالنسبة لوجهة النظر الكندرية [٢]:

عميقة هى الأسئلة التى وجهت إلى جان كريتيان رئيس وزراء كندا من قبل شباب العالم عبر شبكة الإنترنت. ونبدأ بهذا السؤال الفلسفى: ما مصير الجنس الإنسانى فى الألفية الثالثة، بعد أن أدى التقدم التكنولوجي والعلمى إلى التغيير الجذرى للعلاقات بين البشر وتصاعد إمكانات التدمير الذاتى؟

أجاب (جان كريتيان) بأن السؤال فى صيغته هذه، قد أسس على منظور بالغ القتامة! وهو ـ كما يقول ـ متفائل بالنسبة لمستقبل الجنس الإنسانى، وأن التقدم التكنولوجي والعلمي قد قدم لنا من الخير أكثر من الشر.

وليس فى هذا التأكيد تجاهل للمشكلات التى يواجهها العالم اليوم، وهذه المشكلات متعددة، فمنها تلك التى تثور بين الدول، ومنها التى تحدث داخل كل دولة، ويكفى أن نشير إلى ظاهرة عدم المساواة فيما يتعلق بتوزيع الثروة بين البشر، وكذلك التهديدات الجديدة والمرعبة التى تمس الأمن الجماعى للشعوب. ونحن نواجه أيضا بمشكلات مستحدثة، أهمها التغيرات المناخية وتحديات التنمية المستدامة. وهناك أعداد كبيرة من البشر، يعانون من الجوع والمرض والكوارث الطبيعية، وينبغى أن نساعدهم على مواجهة هذه المشكلات.

ومع كل ذلك إذا تأملنا العالم، لأمكننا القول أن سكانه أكثر صحة وأوفر أمناً وأفضل غذاء، كما لم يحدث من قبل. ولنتأمل فى أحوال العالم المعاصر. لقد انتهت الحرب الباردة وتكثفت سبل التعاون الدولى، من خلال الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية، كما لم يحدث من قبل. ويمكننا القول إن العالم فيه اليوم مائة وتسعون دولة أغلبها ديمقراطية، وقد أدت «الثورة الخضراء» التى قامت فى نهاية الستينيات وبداية السبعينيات إلى تحويل ملايين الأفدنة من الأراضى الجرداء إلى أراض زراعية خصبة بفضل نقل التكنولوجيا

واسع المدى، بالإضافة إلى نتاج الهندسة الوراثية، والتى أدت إلى تنويع البذور وزيادة إنتاجيتها. كما أن تقدم العلوم الطبية أدى إلى إنقاذ ملايين البشر من الآلام ومن الموت المبكر. وإذا تأملنا حصاد التقدم الذى أحرزته الإنسانية عبر تاريخها، لأيقنا أن هناك قدرة فائقة على التكيف والتجديد وتحسين ظروف الحياة. ولو نظرنا لتقدم وسائل النقل والاتصال التى تتيح الآن للبشر أن ينتقلوا بكل يسر وبساطة من مكان إلى مكان، لأدركنا عظم الفارق بين الحاضر والماضى.

وإذا أضفنا إلى ذلك إمكان الإبحار عبر الإنترنت المتاحة اليوم للشباب وغيرهم، مما يعطيهم القدرة على خلق صداقات مع شباب العالم كله، فإنه يمكن لنا أن نقدم إيجابيات التقدم.

والتكنولوجيا على أى حال يمكن أن تفرقنا وتهددنا أحيانا، غير أنها يمكن أن توحدنا أيضا، وتشجعنا على فهم وقبول الخلافات بيننا وجوانب الاتفاق أيضا. ولا ننسى أن الذى ابتدع مصطلح «القرية الكونية» باحث كندى هو مارشال ماكلوهان، وهو الذى تنبأ بأن الاتصال الفورى ووسائل الاتصال الجماهيرية، ستقضى على حواجز الزمن والجغرافيا واللغة التى تفرق بيننا. وإذا كان ماكلوهان قد حذر من بعض الجوانب السلبية لهذا التطور الفائق، إلا أنه كان متحمسا للآفاق الواسعة، التى ستقدمها الألفية الثالثة فى مجال تنمية الشخصية الإنسانية.

* وانتقل الحوار من بعد إلى سؤال آخر يتعلق بتأثير العولمة على العالم، مفاده هل سنشهد فى الألفية الثالثة إمكان قيام مشروعات وطنية، أم أن موجات العولمة المتدفقة ستقضى على هذا الإمكان، جاءت إجابة رئيس وزراء كندا فيما يتعلق بالعولمة من حيث مخاطرها وفرصها متوازنة فى الواقع، فقد قرر:

أنه سيكون هناك دائمًا فى العالم مكان للمشروعات الكبيرة

والمتوسطة والصغيرة، وأن روح إيجاد وتأسيس المشروعات بمختلف أنواعها والرغبة فى التجديد، جزء لا يتجزأ من الروح الإنسانية. والواقع أن هناك اتجاهات بارزة إزاء العولمة، فالبعض يعتقد أنها تمثل تهديداً خطيراً، والبعض الآخر يرى فيها الخير العميم. غير أن العولمة ليست معروضة للاختيار، بمعنى قبولها أو رفضها، لأنها ببساطة واقع ينبغى أن نتعامل معه، ونحسن استخلاص الإيجابيات منه، من خلال إعداد مجتمعاتنا لمواجهة التغييرات التى ستحدثها بخطى واثقة.

وإذا كانت الحواجز التجارية بين الدول قد زالت، نتيجة للنشاط الضخم للشركات متعددة الجنسية، فلا يعنى ذلك أنه ليس هناك مجال للمشروعات المتوسطة أو الصغيرة. ذلك أن التكنولوجيات الحديثة قد سمحت لهذا النوع من المشروعات أن ينجح ويزدهر.

ومن ثم يمكن القول إنه من الخطأ تصور أن العولمة ستقضى بالضرورة على المشروعات المتوسطة والصغيرة، التى تعمل على المستوى الوطنى. ويمكن القول بأن الكتل الاقتصادية مثل الاتحاد الأوروبى، قد سمحت لعديد من المشروعات الصغيرة بأن تنفذ للأسواق، التى لم تكن متاحة لها من قبل.

وهناك على صعيد الدول النامية مشروعات متعددة لمنح قروض صغيرة للفقراء ومتوسطى الحال؛ للقيام بمشروعاتهم. ولعل أبرز نموذج لذلك ما حققه بنك «جرامين»، فى بنجلاديش لإقراض الفقراء، وقد حقق إنجازات باهرة فى هذا المجال، مما يجعله نموذجا يحتذى. وقد خصصت كندا ـ كما يقرر جان كريتيان ـ نحو مائة مليون دولار لهذا النمط من الإقراض؛ لاستخدامها فى اغراض التنمية فى نحو ٤٢ دولة نامية.

ويتصل بالسؤال السابق الخاص بالعولمة وآثارها سؤال آخر طريف، يشير بسخرية إلى الوزن الثقيل، الذى أصبحت تتمتع به الشركات المتعددة الجنسيات فى الاقتصاد العالمى. والسؤال مبناه: هل يمكن أن نجد أنفسنا ذات يوم مواطنين تابعين لشركة متعددة الجنسيات، بدلا من أن نكون مواطنين تابعين لدولة ما؟

أجاب (جان كريتيان) بأن الأساس الاقتصادى فى العالم قد تغير تغيرات جوهرية، وأصبح الاقتصاد يلعب دورا مهمًا فى الحياة اليومية لملايين الرجال والنساء على مستوى العالم، ومما لاشك فيه أن الطريقة التى تخلق بها الدول الثروة وسد حاجات مواطنيها مسألة أساسية، كان ذلك هو الموقف فى الماضى كما هو فى الحاضر.

غير أن (جان كريتيان) فى محاولة مباشرة للإجابة عن السؤال، يقرر أنه لا يرى أى إمكان لكى تحل الشركات متعددة الجنسيات محل الدول؛ لأن التقسيمات السياسية التى ينتظم العالم وفقا لها، ليست مصطنعة بل حقيقية وتقوم على أسس موضوعية؛ لأنها تقوم على أسس تتعلق بالجغرافيا والتاريخ والتقاليد واللغات المتعددة، بالإضافة إلى الثقافات المتنوعة للشعوب، تلك كلها قوى أساسية، ومن شأنها أن تدفع الناس للتجمع معًا، وتشكيل مجتمعات متميزة. وإذا كنا شهدنا فى العقود الأخيرة تفكك بعض الدول، وتأسيس دول جديدة على أنقاضها، فإن دولا عديدة مازالت كما هى منذ أن تأسست فى أزمان بعيدة ماضية، هذه الدول فى تاريخها الطويل قد شهدت فترات رخاء وكساد، وخبرت السلم والحرب، وتمتعت بثمار التماسك، كما عانت أحيانا من ضروب الضعف والانهيار، غير أن شعوب هذه الدول قد استطاعت أن تبقى بفضل تصميمها على مواصلة الحياة، وقدرتها على التكيف مع المتغيرات الجديدة، ولم تترك نفسها لكى تجرفها الأحداث المتعاقبة.

وليس هناك ما يدعو للظن أن الشركات التجارية مهما بلغت ضخامتها يمكن أن تستمر دورة حياتها أطول من الدول، هى أيضا مثل الدول يمكن أن تتقدم أو تتراجع، وأن تنقسم أو تندمج، وأن تظهر وأن تختفى.

وانتقل الحوار إلى سؤال يتعلق بالتقدم العلمى. وكان مبناه «هل تعتقد أنه فى الألفية الثالثة سنستطيع الكشف عن أسرار الكون مثلما كشفنا عن أسرار الأرض فى الألفية الثانية؟».

أجاب (كريتيان) بأنه من المؤكد أن الذى ميز الألفية الثانية هو ازدياد المعرفة بالطبيعة الإنسانية، وبالعالم المحيط بالإنسان. ويمكن القول أنه

منذ فجر الإنسانية وضع الإنسان حبه للاستطلاع فى خدمة المعرفة الأوثق بالطبيعة. وفى نهاية الألفية الثانية يمكن القول بأن ما حققه الإنسان من تقدم فى هذا المجال يعد إعجازا حقيقيا. ويكفى أن نشير إلى ما حققه الإنسان فى عالم الإبحار؛ مما سمح له بأن يكتشف العالم الجديد من خلال رحلات الاستكشاف الأوروبية، وكذلك الكشوف الخاصة بمعرفة تشريح الجسم الإنسانى، مما أتاح حماية الإنسان من عديد من الأمراض، واختراع المحركات الحديثة التى أدت إلى الثورة الصناعية، وحديثا غزو الفضاء؛ مما سيتيح لنا فهم أصول تكون كوكبنا، وكيفية تشكل الجنس الإنسانى.

إن التقدم الإنسانى المطرد فى مجال الفهم العلمى لمختلف الظواهر، عميق للغاية. ويكفى أن نشير إلى أنه منذ خمسين عاما، كنا نجهل تقريبا عديدا من الأمور فى مجال الوراثة. ولكن اليوم بعد أن تمت كشوف علمية عديدة وخصوصا فى مجال الهندسة الوراثية، فإن الاستنساخ لم يعد ينتمى إلى روايات الخيال العلمى، وإنما أصبح ممارسة واقعية من الصعوبة بمكان ـ كما يقرر جان كريتيان ـ ألا نتفاءل وضعاً فى الاعتبار كل هذا التقدم. ذلك يدفعنا إلى الثقة بأن الوضع الإنسانى سيتحسن فى المستقبل، توقعاً منا أنه سيتم اجتياز كل الحواجز التى تعوق المعرفة العلمية.

غير أن اهتمامنا بالفضاء ينبغى ألا يصرف نظرنا إلى أننا بحاجة شديدة إلى استكمال معرفتنا بالكوكب الأرضى، الذى نعيش عليه. فما زالت ظواهر التغيرات المناخية والتصحر وغيرها تحتاج إلى دراسات أعمق، بل إن الطبيعة الإنسانية ذاتها زاخرة بالمناطق المجهولة التى تحتاج إلى الارتياد والكشف.

وفى النهاية لابد من مواجهة مشكلات عدم المساواة بين الشمال والجنوب، وداخل كل مجتمع.

وفى نهاية الحوار سئل (جان كريتيان) ماهى النصائح التى توجهها للشباب

اليوم؟ أجاب: التعليم هو النصيحة الأولى، لأن المجتمعات المعاصرة لا يمكنها مواجهة تحديات العولمة إلا بأجيال متعلمة تعليماً متقدماً، والنصيحة الثانية ضرورة مشاركة الشباب فى موجات التغيير الكبرى فى العالم، بدلا من الهروب منها، وأخيراً أهمية معرفة الشعوب والثقافات المختلفة، ما دمنا نعيش معا فى قرية كونية.

هكذا تكلم (جان كريتيان) رئيس وزراء كندا.

٢- بالنسبة لوجهة النظر اليابانية [٣]:

وجهت إلى (كيزو أبوتشى) رئيس وزراء اليابان سبعة أسئلة، كان من الطبيعى أن تبدأ بسؤال يتعلق بتاريخ اليابان، خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية. فاليابان هى البلد الوحيد التى ألقيت عليه قنبلة ذرية من قبل الجيش الأمريكى لحسم الحرب، كما قيل. ولاشك أن إلقاء القنبلة على هيروشيما وناجازاكى يمثل فى التاريخ العالمى حدثاً فريداً. ومن هنا جاء السؤال الأول: «أنتم البلد الوحيد فى العالم الذى عاش التجربة المؤلمة لإلقاء قنبلة ذرية على جزء من بلادكم. ما مشاعرك إزاء هذا الحدث، وإزاء انتشار الأسلحة الذرية فى العالم اليوم؟

أجاب (ابوتشى) أنه باعتبار اليابان هى البلد الوحيد الذى ألقيت عليه قنبلة ذرية، وعاش من ثم التراجيديا الخاصة بهذا الحدث، فإننا نشعر أن هذه التجربة ينبغى ألا تتكرر أبداً.

وهذا هو السبب فى أننا رفعنا شعاراً مثلث الجوانب: لا لامتلاك القنبلة الذرية، لا لتصنيعها، ولا لإدخال أسلحة ذرية إلى اليابان.

ونحن نطبق بإخلاص التزاماتنا فى معاهدة حظر انتشار الأسلحة الذرية، ونشارك بإيجابية فى كل الجهود الدولية الخاصة بنزع السلام ومنع انتشار الأسلحة الذرية.

وطرح على (أبوتشى) سؤال طريف مؤداه «لماذا - إذا كانت الديموقراطية هى أفضل طرق الحكم - لانجد تطبيقات لها فى مجال الشركات، التى لا تدار بالضرورة بطريقة ديموقراطية»؟

أجاب (إيبوشى) أن التاريخ الإنسانى قد شهد عدة صور للحكم،

والديموقراطية إحدى هذه الصور. ولكن ينبغى أن نلتفت إلى أن تعريف «الديموقراطية، يختلف حسب البلاد وحسب الشعوب. ولكن فى مجتمعنا الدولى الراهن هناك إجماع على ضرورة تحقيق «المبدأ الديموقراطى». وهناك جهود عالمية تسعى إلى أن يعم فى كل أرجاء المعمورة، لماذا؟ لأن الأفراد الذين يكونون المجتمع يقعون فى صميم المحيط الديموقراطى، لأن الديموقراطية بحكم احترامها للتعديدية، والحوار، تساعد على ازدهار الشخصية الإنسانية، وهى أيضا تقوم على الاستماع إلى آراء الناس، وتهتم بهمومهم ومشكلاتهم، ومن ثم يحدث ترشيد للقرارات الاقتصادية والسياسية والثقافية، والتى ينبغى أن تبنى على العلم الدقيق بالآراء المتنوعة للناس؛ ولذلك فالدول المتقدمة تساعد البلاد النامية على نشر النظام الديموقراطى.

أما فيما يتعلق بتطبيق الديموقراطية فى مجال إدارة الشركات، فيمكن القول أن نظم الإدارة فى مجال الأعمال تتعدد وتتنوع، سواء بالنسبة للشركات الصغيره، أو الشركات الكبرى. ومع ذلك يمكن القول أن الديموقراطية تظهر فى مجال الإدارة بالنسبة للجمعيات العمومية للشركات، والتى يحدث فيها تصويت على القرارات الاستراتيجية الكبرى، التى تقترحها مجالس إدارات الشركات.

وانتقل الشباب من بعد إلى سؤال جوهرى، يشغل بالهم فى كل أنحاء العالم، وهو يتعلق بالدين والجوانب الروحية فى ظل العولمة. وكان السؤال هو «أى ملة دينية أو مذهب سيتحول إلى دين مكتمل فى نهاية الألفية الثالثة؟».

أجاب (ابوتشى) بإننا إذا كنا نشهد مرحلة رخاء، فذلك بفضل الجهود التى بذلها أجدادنا. وإذا كان التقدم فى مجال الاقتصاد يبدو بارزا، فإننا ـ على العكس ـ نشهد تأخرا فى الجوانب المعنوية والروحية، والتى تمر بأزمة. ومن الضرورى ـ من أجل أغراض التقدم الإنسانى ـ إقامة التوازن الضرورى بين الجوانب المادية

والروحية، غير أنه ينبغى التركيز على أن اختيار دين معين ينتمى إليه الشخص أو مذهب يعتنقه، ينبغى أن يترك للاختيار الحر، وفقا لقواعد احترام حقوق الإنسان، والتى نص عليها الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، التى قننها مختلف الدول فى دساتيرها وتشريعاتها الداخلية. ويقرر (أبوتشى) أنه يأمل فى أن يستمر فى المستقبل احترام حرية الإنسان الدينية.

وقد أثير سؤال مهم يتعلق بصميم مستقبل الشباب فى العالم، وهو تأثير التطور التكنولوجى على البطالة، أو ما يطلق عليه «البطالة التكنولوجية» أى الناجمة عن استحداث آلات للإنتاج لاتحتاج إلى قوة عاملة كبيرة.

يتحدى (ابو تشى) فى إجابته هذا التعميم، ويقول إنه ليس صحيحا أن التطور التكنولوجى يؤدى بالضرورة إلى البطالة. ويقول إن خبرة اليابان فى هذا الصدد، ويقصد آليه الانتاج والاعتماد على المعلوماتية، قد أدت إلى رفع مستوى الاستهلاك، نتيجة لتخفيض السعر، وزيادة الإنتاجية، وهذه بدوره أدى إلى زيادة الطلب على العمالة. غير أن هذا لا ينفى أنه فى بعض المراحل، فإن تحديث أدوات الإنتاج قد يؤدى إلى بطالة نسبية، غير أن ذلك يدعونا إلى تكييف هيكلى؛ لكى تجعل الانتقال يتم دون خسائر باهظة. وقد التفتت قمة الدول السبع أخيرا إلى ضرورة مواجهة مشكلة البطالة، من خلال القيام بإصلاحات هيكلية فى الاقتصاد، والعمل على التوازن بين السياسات النقدية والضريبية.

ومن التطور التكنولوجى، انتقل الشباب إلى سيناريوهات المستقبل، فطرحوا سؤالاً طريفاً مؤداه: «فى نهاية الألفية الأولى ظن الناس أن العالم سينتهى، وفى نهاية الألفية الثانية نحن نخشى من الموجة المتدفقة للمعلوماتية، ماهو فى نظرك الخوف الأعظم الذى سيصب الإنسانية عام ٣٠٠٠؟».

أجاب (ايبوشى) إننا إذا تأملنا أحوال العالم اليوم لوجدناه يحفل

بمشكلات متعددة، بعضها نتيجة لنمو العلم وامتداده إلى ميادين متعددة، ولعل أهمها المشكلات الأخلاقية التى ترتبت على التقدم فى ميدان الهندسة الوراثية، بالإضافة إلى مشكلات الانفجار السكانى والتلوث، ومشكلات الطاقة، والبحث عن طاقة نظيفة، ولاأعتقد أن هذه المشكلات ستظل باقية حتى عام ٣٠٠٠، ذلك أن العلم أثبت أنه قادر على حل عديد من المشكلات. ولو رجعنا بأبصارنا إلى الماضى، هل كان أحد فى نهاية الألفية الأولى يحلم بشىء كالحاسب الإلكترونى؟ ومن ثم من الصعوبة بمكان تخيل مشكلات الإنسانية فى نهاية الألفية الثالثة! ولعل هذا هو الذى جعل الفيلسوف اليابانى كيتارو نيشيدا (١٨٧٠ ـ ١٩٤٥) يقرر «نحن لا نستطيع أن نتنبأ بالذى سيحدث بعد خمسين عاما!»، فما بالنا بالتنبؤ عن أحوال الإنسانية بعد ألف عام!

وطرح سؤال مهم: «إذا كانت مجموعة الدول السبع تأخذ كل القرارات الخاصة بمستقبل العالم، فلماذا ـ من وجهة نظر منطقية ـ لا تحل هذه المجموعة محل مجلس الأمن؟».

ولا تخفى النبرة الساخرة لسؤال الشباب، والتى تتعلق بضعف مجلس الأمن عن التصدى للمشكلات العالمية، فى حين أن مجموعة الدول السبع تبدو وكأنها مجلس إدارة العالم! وجاءت إجابة (إيبوتشى) مسلمة بضرورة تقوية مجلس الأمن من خلال إصلاح شامل لنظام الأمم المتحدة، فى الوقت نفسه الذى أشاد فيه بالدور الإيجابى، الذى تلعبه مجموعة الدول السبع فى بعض القضايا الدولية.

وكان السؤال الأخير متعلقا برؤية (ايبوتشى) بالنسبة للألفية الثالثة؟ ركز (ايبوتشى) على استمرار قيم الحرية والديموقراطية واحترام حقوق الإنسان، والتى يأمل أن تصبح جزءاً لا يتجزأ من عقائد مختلف الدول، كما أشار إلى نمو البحث العلمى والتكنولوجى مما سيساعد على حل مختلف المشكلات. وإذا كان المجتمع الصناعى ـ كما يقول ـ قد حل عديداً من المشكلات، إلا أنه ولد مشكلات

أخرى مثل التلوث، والذى يجب مواجهة مشكلاته فى الألفية الثالثة من خلال مايطلق عليه ايبوتشى «الأمن الإنسانى»، الذى ينبغى أن يخلق للإنسان بيئة مواتية لازدهار شخصيته.

ومن هنا تأتى أهمية أن يشارك كل فرد وبطريقة إبداعية فى تقدم العلم والتكنولوجيا وتعميق الثقافة الروحية، ونشر روح التعاون الدولى والعمل الطوعى على مستوى المجتمعات المحلية.

هذه هى وصية (ايبوتشى) رئيس الوزراء اليابانى لشباب العالم. ترى هل تختلف رؤيته اليابانية عن رؤية غيره من قادة الدول الغربية المتقدمة؟

وبعد استعراض وجهتى النظر السابقين، وتعليق السيد يسين عليهما، يكون من المهم طرح السؤال التالى:

ما سمات الإنسان الجديد فى ظل ظروف العصر وتحدياته؟

قبل الإجابة عن السؤال السابق، نقول: تنتقل المجتمعات الإنسانية المتقدمة من مرحلة بناء مجتمع المعلومات إلى بناء مجتمع المعرفة؛ إذ إن:

تخليق مجتمع المعلومات فى الدول المتقدمة لم يكن سوى الخطوة الأولى فى بناء مجتمعات عصرية، سيسود نموذجها القرن الحادى والعشرين، فقد بدأت ملامح الخطوة الثانية الحاسمة، وهى الانتقال من مجتمع المعلومات إلى مجتمعات المعرفة. ومنطلق الانتقال أن المعلومات بذاتها ليست معرفة، وإنما هى المواد الخام - إن صح التعبير - لتخليق صور شتى وأنماط متعددة من المعارف السياسية والاقتصادية والثقافية. ومن ثم فلابد من الدراسة المتعمقة لكيفية تخليق المعرفة، وابتداع أساليب حديثة لبلورة المعرفة وتحليلها ونقدها، والعمل على تطويرها باستمرار فى ضوء تلاحق الكشوف العلمية وتعميق التطورات التكنولوجية، بل والسعى إلى التجاوز الدائم للمعرفة الراهنة».

ومعنى ذلك كله أن المجتمع الإنسانى المعاصر فى حاجة إلى بلورة

نظم حديثة لإنتاج المعرفة، بحيث تصبح المعرفة الشاملة هى أساس اتخاذ القرارات. ولذلك كان منطقيا أن يوصف الاقتصاد المعاصر المتطور باستمرار بأنه اقتصاد المعرفة»[٤].

لقد تحققت ثورة كونية - بعد سقوط النماذج المعرفية القديمة - تتمثل فى ثلاث ثورات متزامنة: ثورة سياسية تركز على الديمقراطية والتعددية واحترام حقوق الإنسان، وثورة قيمية تتمثل فى الانتقال من القيم المادية إلى القيم ما بعد المادية، وثورة معرفية هى الانتقال من الحداثة إلى ما بعد الحداثة.

لذا، تقوم ديناميكية المجتمع على أساس:

١- وجود رؤية إستراتيجية متبلورة ومتماسكة للأهداف الحالية والمستقبلية معا.

٢- وجود نخبة سياسية لديها القدرة الواعية على المتابعة النقدية المنظمة للمتغيرات العالمية، وللأفكار التى يمر بها الحوار الفكرى على مستوى الكون.

٣- فاعلية المجتمع المدنى، عن طريق ديناميكية عمل النقابات والمؤسسات والمنظمات والشركات، وبخاصة فى مجال حقوق الإنسان.

٤- وجود نخبة فكرية من المثقفين، لديها الرغبة والقدرة معا على التحليل النقدى لما أنتجته مصادر التفكير فى العالم.

وبعد العرض السابق، تكون إجابة السؤال آنف الذكر، على النحو التالى:

فى ظل المتغيرات المتلاحقة التى يشهدها العصر، والتى تسبب أحيانا تغيرات بعينها، بينما تحقق فى أغلب الأحيان تغييرات قهرية وقسرية، تفرض على الإنسان أن يتعامل معها بحذر وحنكة وفطنة وذكاء، اكتسب الإنسان سمات مغايرة تماماً لسمات نظيره منذ سنوات قليلة مضت.

وفى هذا الصدد، نعرض وجهتى النظر التاليتين:

(١) يتحدث **سلامة أحمد سلامة** عن (إنسان القرن ٢١)، فيقول[٥]:

أهم ما يقدمه المعرض الدولى فى هانوفر هو تلك الرؤية المستقبلية للإنسان فى القرن الحادى والعشرين، وليس بوسع المرء أن يلخص

فى هذه العجالة القصيرة مئات الانطباعات والمشاهد والمعلومات التى اكتسبها فى جولة يوم واحد أو يومين.. لم يكن أهم مافيها مشاهدة أجنحة ما يقرب من ١٨٠ دولة، ولكن الأهم هو ما أطلق عليه «بستان لموضوعات المستقبل»، الذى ضم عروضًا بارعة تستند إلى دراسات وسيناريوهات علمية عن مستقبل التعليم والعمل، ومستقبل الطاقة والصحة والغذاء، وعن الحاجات الأساسية للإنسان وبيئته.

إنسان القرن الحادى والعشرين هو نقطة الارتكاز فى هذا المعرض. وبناء على دراسة قدمها مركز الأبحاث العلمية فى لندن، تم اختيار أربع مدن من مختلف القارات، هى أخن فى ألمانيا، وساوباولو فى البرازيل، وشانغهاى فى الصين، وداكار فى أفريقيا (السنغال).. تصور كيف يعيش فيها مواطن حياته اليومية عام ٢١٠٠. ثم تهبط آلة الزمن إلى الوراء فى عام ٢٠٧٠ ثم عام ٢٠٣٠.وفى كل مرحلة من هذه المراحل يواجه الإنسان فى كل مدينة من هذه المدن، التى تعكس مستوى حضارياً وثقافياً مختلفاً، أنواعاً متباينة من التحديات والمشكلات فى حياته اليومية وقد استخدمت فى هذه العروض أعقد وسائل التصوير السينمائى والفوتوغرافى وأشعة الليزر مزودة بالأرقام والإحصاءات.

وكما أشرنا فإن صحة الإنسان تحتل مكانة بارزة، خاصة بعد الكشف عن أسرار الجينوم البشرى، واحتمالات استخدامه فى علاج عديد من الأمراض وتحقيق حلم الإنسان فى الخلود.. وهو ماسوف يضع عدداً من الشعوب المتقدمة أمام معضلة تهدد بشيخوخة شعوبها... فما الحلول المقترحة لمواجهتها حين ترتفع نسبة كبار السن فيها بمعدلات غير مسبوقة، تزيد على الثلث بين السكان؟ وكيف يمكن الاستفادة منهم لكيلا يكونوا عالة على المجتمع؟

وطبقا للدراسات المستقبلية، فإن معظم الأمراض والأوبئة المعدية مثل الملاريا والسل والإيدز ـ سوف يكون انتشارها مقصوراً على الدول النامية التى تعانى تخلفاً اجتماعياً وبيئياً واقتصادياً. ولكن أخطر أمراض القرن الحادى والعشرين التى تسبب أعلى نسب الوفيات عام ٢٠٣٠ سوف تكون تلك الناجمة عن التدخين، وأكثر الشعوب عرضة لتزايد الأمراض الخاصة بوباء التدخين هى شعوب الدول النامية، التى تعجز عن مكافحة أخطاره، والحد من انتشاره بين شبابها.

وفى ميادين العمل سوف تقلب «العولمة» أسواق العمل رأسا على عقب.. لن تكون هناك أسواق عمل محلية، بل شبكات عمل دولية تتشكل لإنجاز مشروعات محددة ثم تنفض، دون حاجة إلى وظائف ثابتة على الأقل فى المستويات الإدارية العليا.. مجال البيئة هو وحده الذى سيحتاج إلى فرص عمل جديدة!

ويحدد **السيد يسين** سمات الانسان الجديد، ويناقشها من منظور نقدى على النحو التالى[٦].

السمة الأولى تتمثل فيما قيل من أن الإنسان الجديد، الذى يتعامل بانتظام مع شبكة الإنترنت يتسم بحب الاستطلاع الشديد، ويشعر أنه يشارك فى ثورة كبرى، هى ثورة الاتصالات الجديدة، ويدرك أنه يشهد تغيرات جذرية على مستوى العالم.

ولعل الملاحظة الأولى تتعلق بنسبة الذين يتعاملون مع الإنترنت، بالمقارنة مع الغالبية العظمى التى لم تتعامل معه إطلاقا، سواء للخوف من التعامل مع التكنولوجيا الحديثة بحكم تعقيدها كما هو الشائع، أو لنقص القدرة المالية سواء فيما يتعلق باقتناء جهاز الكمبيوتر، أو تحمل تكاليف الاشتراك الشهرى، بالإضافة لتكلفة المكالمات التليفونية. ومعنى ذلك أن هذا الإنسان الجديد الذى تشير

إليه البحوث، لن يمثل سوى شريحة ضئيلة للغاية من السكان فى أى مجتمع جنوبى، ولكن ماذا عن الغالبية العظمى من الناس، الذين لن يتاح لهم التعامل مع الفضاء المعلوماتى بكل ما يزخر به من فكر وعلم وثقافة؟. وأخطر من ذلك كله، ماذا عن جيوش الأميين فى دول الجنوب، الذين لا يقرأون ولا يكتبون، وبالتالى يعيشون ليس فى الفضاء المعلوماتى، ولكن فى الفضاء البدائى الذى يزخر بالفكر الخرافى والأوهام والإدراك المشوه للواقع الاجتماعى، والجهل المطبق بصورة العالم الجديد الذى يتخلق أمامنا.

وبالتالى نجد أنفسنا فى الواقع فى حالة فصام ثقافى بين نخبة قليلة العدد وغالبية واسعة. وهذا الفصام كان موجوداً، ولاشك فى ذلك حين كانت الكلمة المكتوبة هى المسيطرة على الفضاء الثقافى، ويعكس ذلك فى مجتمعاتنا الجنوبية قلة توزيع الصحف والمجلات والكتب، غير أن الثورة الاتصالية الجديدة من شأنها فى الواقع أن تزيد من عمق هذا الفصام الثقافى، ويستدعى ذلك صياغة سياسات ثقافية فعالة، تهدف محو الأمية أولا، هذا العار القومى، وتنزع ثانيا إلى نشر الثقافة العلمية والتكنولوجية على مستوى النخبة وعلى صعيد الجماهير فى الوقت نفسه، ونحتاج إلى سياسات تعليمية تركز على تكوين العقل النقدى، بدلا من العقل التلقينى، وسياسات إعلامية تسعى إلى خلق الوعى الحقيقى لدى الناس بدلا من إشاعة الوعى الزائف.

نحن نحتاج ليس أقل من ثورة ثقافية شاملة، تكون هى المقدمة لدخول عالم الفضاء المعلوماتى، بكل ما يزخر به من وعود وآمال فى التقدم.

والسمة الثانية أن الإنسان الجديد يتسم بالروح العملية، والتى تظهر فى اتجاهه إلى استخدام الإنترنت للبحث عن فرص العمل الجديدة المتاحة.

والواقع أن هذه السمة تثير موضوع الاتكالية السائدة فى مجتمعنا؛ وخصوصا الاعتماد على الحكومة فى مجال التعيين فى الوظائف. لفترة طويلة كان الناس يعتبرون أنفسهم ـ وفق تعبير موفق للدكتور حازم الببلاوى «عيال الحكومة» ـ بمعنى أنهم يعتمدون عليها اعتمادا كاملا فى تعليمهم وتشغيلهم ورعايتهم رعاية كاملة من الميلاد حتى الممات. وقد أدى ذلك إلى خنق مبادرات الأفراد، وتجميد مواهبهم، ولكن حدثت فى السنين الأخيرة فى بلادنا تغيرات شتى، بعد أن تغيرت النظرة إلى المؤهل والوظيفة، وبعد أن توقفت الحكومة عن الالتزام بتشغيل الخريجين، وخصوصا بعد بداية التحول من التخطيط الجامد إلى الانفتاح الاقتصادى، واعتماد سياسة حرية السوق، وانطلاق القطاع الخاص.

ولاشك أن الإنترنت ستكون إحدى الأدوات الفعالة فى تفجير الطاقات المبدعة لدى الشباب. ومن بينها التعامل بكفاءة مع فرص العمل المتاحة، من خلال مواقع متعددة على الإنترنت، سواء داخل البلاد أو خارجها.

وهناك سمة أخرى مهمة، مؤداها أن الإنسان الجديد تتولد لديه طرق جديدة لإدراك العالم من حوله، ذلك من خلال استخدامه لمفاهيم جديدة مثل «الفضاء المعلوماتى» و «الواقع الافتراضى». الفضاء المعلوماتى يعنى بالنسبة له مجالا واسع المدى، ليس له وجود مادى ملموس، ولكن يتم التفاعل الإنسانى من خلاله عن طريق البريد الإلكترونى، وجماعات النقاش، والبحث عن المعلومات والوثائق والدراسات. كما أنه أصبح متعودا التعامل مع ما يسمى «الواقع الافتراضى»؛ أى الواقع غير الموجود حقيقة. مثل الاشتراك على شبكة الإنترنت فى «مؤتمر افتراضى» تقدم اليه البحوث وتناقش، والمشاركون لم يغادروا بلادهم! ولاشك أن التعامل مع الواقع

الافتراضى بصوره المتعددة، من شأنه أن يكسب الإنسان أبعاداً فكرية جديدة.

وإذا أضفنا إلى ماسبق أبرز السمات الجديدة قاطبة، وهو اكتساب الإنسان الجديد مستحدثة للتفكير تجعل تفكيره متحركاً ومتكاملاً ومرناً، فإنه يمكن القول أن بهذه السمات أصبح يعرف كثيراً من الأمور فى أقل وقت ممكن، بحكم التعدد اللانهائى لمصادر المعلومات والمعرفة فى الإنترنت. غير أن اكتساب هذه «الحركية» ليس سهلا ميسورا. بل إن المتعامل مع الإنترنت ـ لو لم يتلق تدريبا منهجياً دقيقاً ـ يمكن أن يضيع فى الفضاء المعلوماتى، بكل ما يزخر به من معلومات لاحدود لها. هنا تبدو أهمية التدريب المسبق على التفكير النقدى، الذى يسمح للمتعامل مع الإنترنت أن يصنف المعلومات المتاحة، ويستبعد الهامشى ويبقى على المهم. وحتى بالنسبة للمعلومات المهمة، لابد أن تكون لديه القدرة على تقييمها.

وإذا جئنا لسمة تكامل المعرفة، والذى عادة ما يكون ثمرة زوال العديد بين التخصصات العلمية المختلفة، فلن يستطيع المتعامل مع الإنترنت أن يصل إليها ما لم يكن مدربا من قبل على الإطلاع على ميادين معرفية متعددة. وهناك اتجاه سليم مؤداه أن هناك علماً اجتماعياً واحداً، وتخصصات مختلفة فى الوقت نفسه، مثل علم الاجتماع وعلم النفس وعلم السياسة، هؤلاء الذين دربوا على التعامل مع العلم الاجتماعى ككل، هم الأقدر على الوصول إلى مستوى تكامل المعرفة مما من شأنه أن يعطيهم منظوراً أرحب فى بحث الظواهر الاجتماعية المختلفة والتعامل معها.

وهناك أخيرا سمة المرونة فى التفكير بحكم تعدد المواقع المعرفية، وقد نتحفظ على ذلك لأن بعض المتعاملين مع الإنترنت لديهم جمود شديد فى إطارهم الإدراكى، وتطرف فى المبادئ التى يؤمنون

بها؛ مما يجعلهم محصنين ـ إلى حد كبير ـ من نعمة المرونة الفكرية! ويشهد على ذلك تعدد المواقع على الإنترنت، التى بناها أشخاص ينشرون أيديولوجياتهم الرجعية أو المحافظة، دون أن يتأثروا بالمرونة الفكرية التى يمكن للإنترنت أن توفرها.

وأيا ما كان الأمر، فقد أردنا من هذه الملاحظات النقدية، أن نضع مقولة «الإنسان الجديد»، الذى سيتخلق من خلال التعامل المنظم والدائم مع الإنترنت فى إطارها الواقعى، بدلا من التحليق فى عالم المثاليات، بواسطة بعض الباحثين، الذين لا ينظرون إلا إلى الجانب المشرق من جوانب الثورة الاتصالية الحديثة!

غير أن تبنينا إطاراً واقعياً لا يعنى بالضرورة النكوص عن الالتحاق بتيار التقدم المعاصر. وهذا التيار سيعتمد اعتماداً أساسياً على التفاعل الكثيف فى المجال السياسى والاقتصادى والثقافى، ولعل البرنامج الطموح لنهضة المعلومات الذى تطبقه مصر حالياً، يكون هو البداية الحقيقية لتأسيس مجتمع معلوماتى مصرى، قادر على التفاعل مع مجتمع المعلومات العالمى.

دور المنهج التربوى فى إكساب المتعلم سمات الإنسان الجديد:

يقوم دور المنهج التربوى على أساس تحقيق الآتى:

١- إكساب المتعلم مقومات ثقافة العقل.

٢- إكساب المتعلم مهارات التكنولوجيا الإنسانية.

٣- إكساب المتعلم أساليب الحوار مع الآخرين.

٤- إكساب المتعلم قدرات الإبداع والابتكار.

٥- إكساب المتعلم طرائق الاستفادة من العولمة.

ويجدر التنويه إلى أن دور المنهج التربوى فى إكساب سمات الإنسان الجديد، لا يقتصر على البنود الخمسة السابقة فقط؛ إذ توجد مواقع أخرى يمكن أن يسهم

المنهج التربوى فى تحقيقها. وقد اخترنا البنود السابقة فقط، على أساس أنها تمثل تحديات حقيقية للإنسان الجديد فى عصر العولمة؛ ففى عصر العولمة، يجب أن يكون الإنسان مثقفًا وفق أساليب عقلانية بحتة، ليس للعاطفة فيها موقع عريض. وأيضا، يجب أن يتمكن من مهارات التكنولوجيا الإنسانية، التى تقوم على أساس تكنولوجيا التعاون البشرى. كما، يجب أن يقيم حوارات ناجحة مع الآخرين، بعد أن أصبحت عملية التواصل والاتصال سهلة وميسورة، واحيانا مفروضة على الإنسان نفسه. كذلك، يجب أن يكون لدى الإنسان القدرة على الإبداع والابتكار، وخاصة بالنسبة للمشكلات والمعضلات العديدة والمتنوعة التى يقابلها فى حياته، والتى تتطلب حلولاً ذكية وفاعلة، حتى لا يصاب بالإحباط وخيبة الأمل، إذا فشل فى تحقيق النجاح إزاء تلك المشكلات والمعضلات. وأخيرًا، يجب أن يستفيد الإنسان من الظروف والإمكانات المتوفرة فى عصر العولمة.

وفيما يلى عرض تفصيلى للبنود السابقة، مع توضيح الدور المهم الذى يمكن للمنهج التربوى أن يقوم به بالنسبة لكل بند منها.

أولا: ثقافة العقل:

يتحدث **حامد سعيد** عن (مصر والقرن الحادى والعشرون)، فيتطرق إلى **أهمية الجذور**، ويقول[٧]:

> **لقد انخلعنا من جذورنا الثقافية، ونحن أصحاب أعمق تجربة حضارية كان لها ريادة فى العصور القديمة، وريادة فى العصور الوسيطة ولم يتوقف فيها الاجتهاد الحضارى، وقد كان لنا فى عصورنا القديمة والوسيطة سمت واضح بين سمته الرائعة الإيمان والاتفاق، بينما سمة إنتاجنا اليوم سطحية الإيمان ونسيان الإتقان، كان لنا جبهة ثقافية قوية، وكنا فى قلب تلك الجبهة، وأصبحنا شيعا وأفرادًا متدابرين، وليس لنا سمت أو كيان متميز: نحن نتلعثم ثقافيا، يحدث هذا، بينما الوضع الراهن فى العالم يفرض على البلاد ذات التاريخ الحضارى أن تفيق وتستعيد الوعى برصيدها المعنوى، وتنفض عن كيانها ذل التبعية، وتستعيد وعيها؛ لعلها تسهم فى**

خلاص العالم من الأزمة الثقافية الطاحنة التى يعانيها العصر.

إن الشق المتقدم علمياً وتكنولوجياً يمر فى بطن موجة معنوية، على وشك أن تقود العالم إلى كارثة محققة تفقد العالم المتقدم علميا وتكنولوجيا أى إيمان روحى، وأى مقياس خلقى ولديه أسلحة الدمار الشامل ما يكفى ويزيد أضعافا مضاعفة.

لهذا ندعو إلى التنبيه لأهمية الجذور: جذور الحضارة وخطر القشور، قشور الحضارة. ولأهمية الدراسة المتعمقة للعصر والإفاقة من إغماءة الانبهار بالحضارة المعاصرة التى فقدت مبررات القيادة والريادة، لابد أن تفيق الشعوب ذات المجد الحضارى، التى أدركت من القيم الإنسانية التى تشكل جوهر الحضارة ومعانى الإيمان وسعادة الإنسان الحقيقية وسمات الحرية المعنوية... لابد أن يعى أصحاب الرأى فى هذه الشعوب أن عليهم دوراً مطلوباً هم عنه غافلون، إن العصر أصبح عملاقاً فى الجبروت، وجاهليًا فى الأغراض، وما يحدث كل يوم وكل ساعة فيه الدليل الرهيب، لا يحتاج الأمر إلى عمق فى التفكير، ولكن يحتاج الأمر إلى إفاقة.

وتعليقاً على أهمية الجذور كما يراها **حامد سعيد**، نقول: إن الجذور تنبثق أهميتها من ماهيتها وقوامها وكينونتها؛ إذ ربما تكون هذه الجذور فاسدة فى الأصل، أو تعتريها بعض الشوائب التحتية المغرضة، أو تتحمس لأفكار سلفية، لا تصلح لظروف الزمان والمكان الحاليين، هنا تحدث الكارثة إذا اقتصر الأمر على الجذور فقط، وكأنها قدس الأقداس. أيضا، التقدم العلمى والتكنولوجى من أركان الهوية الثقافية، لذا لن يكونا أبدًا من عوامل هز هذه الهوية أو تشويهها، أو تفنيد مقاصدها النبيلة، وإنما يعمل التقدم العلمى والتكنولوجى على تثبيت أركان الثقافة وتطوير جوانبها، علما بأن البنية الثقافية الهشة الضعيفة تؤثر سلبًا على العمود الفقرى لوجود الأمة وتاريخها وحضارتها، بينما تمثل الثقافة الرصينة

والجادة محورًا أساسيًا للوجود الحضارى للأمة ولأرصدتها المدهشة من الفن والإبداع، كما تكون سندًا للعقيدة الصحيحة والقواعد الراسخة للقيم وللتعاملات الإنسانية الحكيمة.

إن البناء الثقافى الصلب، فى وجود استراتيجيات تنويرية، يسهم فى علاج الأزمات، التى قد تعترض مسيرة الأمة نحو تحقيقها لأهدافها المنشودة، كما أنه ينهى الجزر المعزولة والعلاقات المقطوعة بين الأطراف المسئولة، وبين أفراد المجتمع بعضهم البعض، وبذا تتحقق مواجهة المشكلات عن طريق الحلول العلمية الصحيحة، وتنتفى أساليب العلاج بالصدمات أو عن طريق المسكنات. فالثقافة الأصيلة الواعية تسهم فى توسيع المشاركة المسئولة بين جميع الأطراف، كما تلقى الضوء على خطورة استنزاف الطاقات فى معارك جانبية، لا نفع منها ولا طائل، لغير الذين يشعلون النار فى الهشيم، ويفتعلون المواقف التى تبعد الأمة عن قضاياها الأساسية.

وعلى صعيد آخر، «فى مراحل الانتقال التاريخية من عصر إلى عصر، لايكفى لتمتع القوة الكبرى بالمكانة والنفوذ، أن تستند إلى العناصر التقليدية لذلك من سياسية وعسكرية واقتصادية، وإنما يلزم لها وفى موقع الصدارة عنصر الرؤية الثقافية والفكر السياسى الذى يستوعب آفاق المستقبل، والذى يجعلك تمتلك الوعى، الذى يتيح لك أن تحدد لنفسك مسبقًا وفى الوقت المناسب، الوضع والدور الذى يجعلك مشاركًا وليس متفرجًا، أو قاعدًا تنتظر ما تقضى به المقادير»[٨].

وبربط الحديث السابق بالحديث الأسبق، نجد أن الثقافة لا تحقق فقط حلاً للمشكلات أو مواجهتها، وإنما يمتد دورها لاستيعاب المستقبل، من خلال امتلاك رؤية، تسهم فى تحديد القدرة الفعلية الواقعية لمواجهة المشكلات المستقبلية وللتعامل مع قضايا القرن الحادى والعشرين، المتوقع حدوثها. وبذا، تسهم الثقافة فى صنع صياغة بعينها، تصلح لتكون مفاتيح لفتح أبواب العصر الجديد، التى مازالت مغلقة بعد.

إذًا، ينبغى ألا تؤكد ثقافتنا على **العقلانية** فقط، بل أن تقوم على أساسها، دون نفى الدور الذى تقوم به القوى النفسية، «خيرة أو شريرة على السواء، فليس هناك مجال للحكم الأخلاقى، ولكن الوعى بهذا الدور، أى (الوعى باللاوعى) هو الذى يمكن أن يخلص أو ينقذ أو يهدى مسيرتنا، وأن يثرى ثقافتنا. بمعنى أنه ليس بالعقل وحده يعيش الإنسان، ولكن بغير العقل سيظل فى ضلال مبين. هذا كله يدور فى فلك المستوى الثقافى»[٩].

ويسير **أحمد عبد المعطى حجازى** فى فلك التيار السابق، إذ يرى أن ثقافة العقل هى التى تؤكد حرية الإنسان، على أساس أن:

> **«العصر الحديث ليس صناعة وتجارة فحسب، وإنما هو إنتاج عقلى حر، قبل أن يكون إنتاجًا ماديًا حرًا، والذين يتهافتون عندنا على أن يكونوا أطباء ومهندسين وصيادلة وفلكيين، دون أن يؤمنوا بجدارة العقل، أو بحق كل إنسان فى أن يفكر كما يشاء، ويعبر كما يشاء، ويتعبد كما يشاء، أو بأن التقدم حتمى وأن السعادة ممكنة على الأرض، هؤلاء الذين ينكرون منزلة العقل ويخافون أشد الخوف من الحرية، أولى بهم أن يكونوا حلاقين أو حجامين أو نجارين أو عطارين!»**[١٠].

تأسيسًا على ما تقدم، نقول إن المنهج العلمى هو الذى يجعل للمجتمع **ثقافة** قوية متماسكة رصينة، تجعل لهذا المجتمع نفسه قدرة تنافسية فى المجتمع العالمى الجديد. وفى المقابل فإن الثقافة العقلانية التى ترتكن إلى العلم، وتجد فيه الملاذ والمأمن من خطورة الخرافات، وتوظفه فى تحطيم قيود التخلف، تسهم فى جعل المجتمع يقفز بخطى واسعة فى طريق التحضر والتقدم.

ولقد أكدت ندوة **جريدة الأهرام** التى عقدت تحت عنوان: «الجماعة والمجتمع العلمى فى مصر»، دور العلماء والمثقفين على السواء، على أساس أنهم يمثلون بؤرة الإشعاع لتوجيهه إلى ما ينبغى أن يكون عليه[١١].

إذًا، ينبغى أن يواكب العلماء والمثقفون بعضهم البعض، فى وجود مجتمع علمى، ينسق بين هؤلاء جميعًا للتفاعل فيما بينهم؛ من أجل الوصول للغرض

المستهدف والمهمة المطلوبة، وذلك يؤكد أيضا عقلانية الثقافة، التى تقوم على أساس المنهج العلمى، والتى تتحقق أيضا فى المجتمع العلمى.

إن ما تقدم، يدعونا إلى طرح السؤال المهم التالى:

هل للعلم قيمة بالنسبة لعقلنة الثقافة؟

يقدم لنا السيد نفادى إجابة رائعة عن السؤال السابق، فيقول[١٢]:

والواقع إننا لو سألنا أى رجل أو امرأة صادفناهما فى الشارع، منذ ثلاثمائة عام عن قيمة العلم، فربما لم يكن أحد منهما قد سمع عنه، ولو حدث فلسوف ينظر إليه بوصفه هواية رجل كسول، أما فى المائة سنة الأخيرة فالإجابة بالقطع تختلف، فقد يقول أحدهما: إنه فعلا ذو قيمة، فقد جعل حياتنا أكثر راحة وإثارة، وقد منحنا صحة أفضل وعمرا أطول، وسفراً أسرع وأسهل، وحسن اتصالاتنا، وقدم لنا عديداً من البضائع والخدمات والتسلية، قدم كل ذلك للإنسان العادى الذى لم ير مثل هذه الأشياء من قبل عبر تاريخه الطويل، الذى يمتد الآف السنين.

إذاً، فكرة التقدم هذه أصبحت جزءاً من حكمتنا التقليدية، أما اليوم فالإجابات عن سؤالنا عن قيمة العلم تعد أقل تفاؤلا، فرغم أن المصانع التى أنشئت بفضل العلم وتقدمه وفرت عديداً من السلع والخدمات فى أكثرها، إلا أنه لوث أنهارنا وبحارنا، وبالتالى طعامنا وشرابنا، كما أنها استنفدت فى عقود قليلة ثرواتنا الطبيعية التى لا يمكن إعادة تجديدها، وأخلت بالتوازن البيئى بدرجة تنذر بأوخم العواقب. فضلا عن أن إنسان اليوم يحيا رعب الأسلحة النووية والبيولوجية والكيميائية، التى تهدد كيانه ووجوده نفسه، فضلا عما يقال عن أخطار الأطعمة المهندسة وراثيا إلخ.

والحقيقة أنه مهما قيل عن ما سببه التقدم العلمى من مساوئ أضرت بالإنسان والبيئة، فإن أحدا لا يشك فى أن هذه المساوئ هى من صنع الإنسان وحده واستخدامه السيئ لمكتشفاته العلمية، ولأسباب تتعلق

بأطماعه فى السيطرة والقهر والاستغلال، أما العلم فهو فى حد ذاته محايد، يمكن أن يستخدم لمصلحة الإنسان أو لضرره، بل وقد يكون العلم نفسه والتقدم العلمى عونا على تلافى مثل هذه المساوئ إذا ما خلصت نية الإنسان، وأدرك تماما أنه لا يستطيع انتهاك قوانين الطبيعة وحرمتها، دون أن يدفع الثمن غاليا، ويحدث التقدم العلمى والتكنولوجى نتيجة لتطبيق مجموعة ثابتة نسبيا من الشروط والمعايير.

إذًا، العلم يساعد الإنسان فى تحديد توجهاته الحياتية، سواء أكانت إيجابية أم سلبية، بالنسبة للآراء والقضاء والمشكلات والعموميات والخصوصيات.. إلخ. بمعنى، يسهم العلم فى تحديد الهوية أو الذاتية الثقافية للإنسان. ولا يقتصر الأمر على الإنسان فقط، وإنما يندرج تحت مظلة ما تقدم، المجتمع نفسه. فعن طريق العلم، يمكن تأكيد الهوية الثقافية للمجتمع، التى عن طريقها ومن خلالها، يمكن التفكير جديًا وبعمق فى إعادة صياغة الأداء القومى الوطنى، لأنه السبيل الوحيد لتحقيق التحديث وبناء دولة عصرية، قادرة على مواجهة التحديات والمتغيرات العالمية وحفظ مقومات الحياة للأجيال الجديدة.

ويمكن تحقيق ما تقدم من خلال توجيهات بعينها، يمكن إيجاز أهمها على النحو التالى على سبيل المثال لا الحصر[١٣]:

١- ضرورة أن تشتمل أطر تنفيذ هذا المشروع على أوليات استراتيجية وتكتيكية توجه نحو مسح شامل لجميع المشكلات التشريعية والإدارية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية والثقافية.. إلخ، التى تواجهها القطاعات المختلفة فى الدولة، ومن ثم إيجاد الحلول العاجلة والآجلة المناسبة لها.. وذلك بمثابة إعداد أساس وأرضية صالحة لانطلاق استراتيجيات وتكتيكات هذا التطوير والتحديث.. الذى يجب أن يترجم من شعارات ومنظومة نظرية إلى واقع تنفيذى ملموس؛ طبقا للخطط والبرامج والأهداف المحددة والموقوتة.

٢- أن تحدد الحكومة الهيكل المؤسسى الذى سوف يتولى عملية

التحديث والتطوير، وكذا جميع الآليات التى تتفق وطبيعة عمل كل قطاع خاصة الآلية التشريعية، التى تمكن مؤسسات التنفيذ من السيطرة على عمليات التحديث، واتخاذ القرارات بعيداً عن الروتين والتعقيد الإدارى، مع قدر أكبر من اللامركزية فى الأداء والتنفيذ المخطط مسبقاً.

٣- الإعداد التمويلى اللازم لمواجهة تنفيذ هذا المشروع الوطنى، وتحديد مدى أعبائه على الموازنة العامة للدولة؛ طبقا لموازنات تخطيطية على المستوى الكلى والجزئى.

٤- إعداد برامج تحديث الأداء المصرفى وسوق المال وقواعد المعلومات الخاوية للتحديث والتطوير وأساليب تسويق وجذب الاستثمارات، وذلك من خلال الخطة الاستراتيجية الشاملة.

٥- الإسراع فى نقل الخبرة والتكنولوجيا من خلال ربط مصر بأحدث مراكز التكنولوجيا العالمية، وتعظيم الاستفادة من الموارد البشرية فى مصر كإحدى ركائز التنمية حاضراً ومستقبلاً.. انطلاقًا من التركيز أساسا على خطط وبرامج التنمية البشرية عامة.

٦- العمل على دفع الصادرات بخصائصها المنافسة، والحد من الواردات بأسلوب إحلال الوارد، مع الإسراع فى إيقاع الإصلاح الاقتصادى بصفة عامة وتكثيف مرونة السياسات النقدية مع معالجة الخلل فى السياسات المالية.. أضف إلى ذلك إعادة النظر فى النظام الضريبى ومشكلاته.. باعتباره حافزاً مهماً لجذب الاستثمارات وتنشيط الاقتصاد القومى.

٧- الاهتمام بقطاع التشييد وتطويره، بما يتضمن ذلك إعادة النظر فى سياسات الإسكان؛ لتتماشى مع متطلبات المرحلة من إسكان اقتصادى، وهو طلب غير ملبى حالياً لحد كبير.

إن مسئوليات تنفيذ هذه الاستراتيجيات والتكتيكات تقع على عاتق

عناصر إدارية فنية، قادرة على أعلى مستوى من الكفاءة والتميز فى الأداء.. تتسم بالعزيمة والرغبة والإصرار والقدرة على تحمل المسئولية والمساءلة والحساب عند التقويم.. وهنا تبرز أهمية المنظومة الأخلاقية، التى يجب أن تتوافر كسلوك دائم للعناصر البشرية المنفذة للخطط والبرامج.. من نزاهة وطهارة وعلم واخلاص وولاء للوطن والعمل

فالعنصر البشرى المؤمن القادر المعطاء، هو الأقدر على ترجمة الخطط والبرامج إلى واقع ملموس له فعاليته وتميزه فى الأداء والنتائج.. فمن هنا يتم تأكيد ضرورة التفانى والاجتهاد، باعتباره أمراً لازمًا وحتميًا، والتركيز على القيم والمفاهيم الدينية الصحيحة والالتزام بتقوى الله فى كل ما نفعله.. آملين إعداد جيل مؤهل للنهوض بالأمة فى مواجهة تحديات العصر والنظام العالمى الجديد.. الأمر الذى يؤكد ضرورة اهتمام الحكومة بتكافؤ الفرص، باعتباره الطريق الديمقراطى للتعامل مع الموارد البشرية بعدالة، بغض النظر عن الانتماءات الاجتماعية أو السياسة.. وتركيزاً على مكافحة النفاق والرياء واستغلال السلطة وعمليات التسلق غير الشرعية للمناصب.

ومن المهم تأكيد إحياء سلطة الضمير الإنسانى ويقظته بين الجميع، والتمسك بالمنظومة الأخلاقية من نزاهة وأمانة وطهارة وإيمان وصدق، فغياب الضمير وفقدان سلطة الأخلاق هما آفة الإنسانية المدمرة.. وهما سبب كل السلبيات والأمراض الاجتماعية التى تعانيها المجتمعات، التى يتفشى فيها السلوك النفعى والحقد والكراهية وعدم الرضا على أى حال.

وبعد العرض السابق لقضية ثقافة العقل، يتبقى السؤال المهم التالى:

ما دور المنهج التربوى فى إكساب المتعلم مقومات الثقافة العقلانية؟

يتمثل هذا الدور فى تحقيق الأمور التالية:

١- إبراز أهمية فرز التراث الثقافى، مع مراعاة أنه ليس من الضرورى أن تكون

جميع جوانبه صالحة لأنها من صنع الثقاة الأقدمين، وأنه يصلح لكل زمان ومكان. المهم فى الموضوع، أن يؤكد المنهج الجوانب الصحيحة من التراث الثقافى، ويرفض تماما الجوانب الطالحة الفاسدة، لتأثيرها السلبى على سلوكيات وفاعليات المتعلمين، وعلى جنوحهم عن الطريق السوى. أيضا، يرفض المنهج بصورة قاطعة جوانب التراث التى باتت غير مناسبة للعصر، لأنه لا نفع منها أو طائل، وأنها مضيعة لوقت المتعلمين، وقد تستهين نسبة كبيرة من المتعلمين بها، وتعتبرها إرثًا متخلفًا لا يرى ظروف المجتمع ومتغيراته بعيون العصر الحالى.

٢- إبراز أهمية إعمال العقل فى شتى المناحى الثقافية، على أساس أن ثقافة العقل تحمى الإنسان من مغبة السقوط فى الغيبيات. ويمكن للمنهج عرض بعض النماذج الثقافية، التى حققت نجاحًا كبيرًا، بسبب قيامها أو اعتمادها على المنهج العلمى. فعلى سبيل المثال، تتيح ثقافة العقل الفرص المناسبة «لممارسة حق التفكير وحرية التعبير عن الفكر، وإدراك أبعاد ومتطلبات الحوار الهادف البناء الذى يراعى الحقوق المشروعة للنقاش والاعتراض، وإبداء الرأى المخالف والشروط التى يجب توافرها - أو توفيرها - لتحقيق الأمن الثقافى فى المجتمع؛ بحيث يرتبط الفكر العربى من ناحية بتيارات الفكر العالمى الحديثة، فلا ينعزل عما يحدث فى الخارج، مع المحافظة من ناحية أخرى، وفى الوقت ذاته على التراث الثقافى التقليدى العريق العميق، وعلى القيم الراسخة وراء هذا التراث، واحترام الثوابت الفكرية الأصيلة وبخاصة المتعلقة بأمور الدين والعقيدة والشريعة»[١٤].

٣- إلقاء الضوء على الدور المهم الذى تقوم به ثقافة العقل فى إعادة صياغات المقومات السائدة، التى يقوم عليها المجتمع أو يتركز عليها فى حركته، وذلك نحو الأفضل بما يتناسب مع عصر العولمة. كذا، التعريف بدور ثقافة العقل بالنسبة للأمراض الاجتماعية المتفشية فى المجتمع، وبلورتها فى صورة مشكلات ومعضلات محددة الأبعاد، لإمكانية وضع الحلول العلمية المناسبة لحلها والتصدى لها. فعلى سبيل المثال، مشكلة إدمان الشباب للمكيفات

والمخدرات الطبيعية والمصنعة، لا يمكن حلها بالوعظ أو بفرض القوانين الرادعة فقط، وإنما يجب أن تكون لثقافة العقل دورها بالنسبة لهذه المشكلة، وأسبابها، وتداعياتها، وتجلياتها، وحجمها داخليًا وعالميًا، وتأثيراتها الحالية والمستقبلية، وكيفية مواجهة جميع طبقات المجتمع لهذه المشكلة، وربط هذه المشكلة بالبطالة أو الفراغ السافرين، اللذين يعانى منهما الشباب فى الوقت الحالى، . . إلخ.

وكمثال آخر، يمكن أن يبرز المنهج الدور المهم لثقافة العقل فى مواجهة مشكلة التطرف والإرهاب، إذ إن هذه المشكلة ـ بجانب أن لها أصولها الاقتصادية ـ لها جذورها الثقافية الحقيقية. فالتطرف والإرهاب كظاهرة تقوم على أساس مقاومة الآخر، أيًا كانت كينونته، فقد يكون الآخر، فردًا أو جماعة أو نظامًا. . . إلخ. وفى جميع الأحوال السابقة، يكون للمشكلة بعدها الاجتماعى الثقافى، وبالتالى تسهم ثقافة العقل فى تحليل أبعاد المشكلة ووضعها تحت المجهر لتظهر جميع تفصيلاتها واضحة جلية: وبعد ذلك يبدأ المسئولون فى وضع الحلول المناسبة لها. وبالنسبة لهذه الحلول، يمكن لثقافة العقل أن تسهم فى بلورتها وطريقة تنفيذها، بعد التأكد من صالحيتها تماما.

٤- إلقاء الضوء على النواحى الإنسانية الجمالية والنواحى الجمالية الإنسانية، التى تهتم بها ثقافة العقل. لذا ينبغى أن يتطرق المنهج إلى الحياة الإنسانية الرائعة، التى اختلطت فيها الدمعة بالبسمة، من أجل مصلحة جميع البشر بلا استثناء، فى كل زمان ومكان. ويمثل ذلك، دعوة من أجل النظر بعين الاعتبار للنواحى الجمالية، سواء أكانت طبيعية أم صناعية، ودعوة للتعريف بأهمية وقيمة اللعب واللهو البريئين. فالحياة ليست مجرد عمل جاد دؤوب، وإنما بجانب ذلك، يجب أن يكون على خريطة الحياة نفسها مكانًا للترويح عن النفس. فالإنسان ليس مجرد ترس فى آلة، ولا يتحكم العقل فقط فى تصرفاته وسلوكياته، وإنماهو كائن حى، له مشاعره وأحاسيسه، يفرح ويتألم، يعمل ويستريح، يقبل ويرفض، يناقش ويصمت، يضحك ويبكى، . . إلخ، وفق الظروف المعيشية والضغوط الحياتية، التى يتقابل أو يتعامل معها، وجهًا لوجه.

إن ثقافة العقل هى التى تحكم ـ وأحيانا تتحكم ـ فى تصرفات الإنسان، إذ عن طريقها ومن خلالها، لا يتحدث الإنسان فى المواقف التى تتطلب الصمت كما أنه لا يصمت فى المواقف التى تحتاج إبداء الرأى، وهكذا دواليك. لذا، يجب أن يبرز المنهج ما يؤكد أن ثقافة العقل، هى التى تعطى حياة الإنسان قيمة، ودونها يصبح الإنسان بهلوانًا أو بهلولاً أو إمعة أو كريشة فى مهب الريح. أيضا، يجب أن يوضح المنهج أن ثقافة العقل، تؤمن بإنسانية الإنسان وآدميته، لذا فإنها تأخذ فى حساباتها جمال الوجود الإنسانى ذاته، وجمال الطبيعة التى خلقها الله من حول الإنسان، ليتمتع بها، دون أن يخربها. وإذا كان العبث فى الحياة مرفوضًا، فإن الجمود فى الحياة مرفوض أيضا، وهذا ما تؤكده ثقافة العقل.

تأسيسًا على ما تقدم، ينبغى أن يعمل المنهج على توضيح الصورة الحقيقية لثقافة العقل بالنسبة لقضية الجمال فى حياة الإنسان، ولقضية حياة الإنسان الجميلة، على أساس أنهما متداخلان، ولا يمكن فصل جانب عن الآخر، وأن دور ثقافة العقل هنا، هو تأكيد هذا التداخل، فدون الجمال فى حياة الإنسان، يصاب بالكآبة، وإذا لم تكن حياة الإنسان جميلة، فقدت الحياة ذاتها أسمى معانيها وأروعها.

٥- إبراز المنهج أن فلسفة ثقافة العقل، تقوم فى أساسها على الاهتمام بالقضايا الإنسانية الأصيلة والأصلية، دون الانشغال بقضايا فرعية، أو بقضايا غريبة، أو بقضايا جدلية ليس لها أدنى فائدة عملية. لذا، يجب أن يتطرق المنهج للقضايا الواقعية الحقيقية التى تتعرض لها ثقافة العقل، مثل: موقع الإنسان المصرى على خريطة الإنسانية فى عصر العولمة، ومكانته الحقيقية، وعيوب الإنسان المصرى ومشكلاته وكيفية مواجهة العيوب وعلاج المشكلات، وموقف الإنسان المصرى من قضية التغيير المتتالى والمتلاحق والمتسارع، التى يموج بها العالم فى عصرنا هذا، والسبل التى يجب أن يتبعها الإنسان فى التعامل مع المجتمع الذى يعيش فيه، ومع العالم من حوله، وموقف الإنسان المصرى من قضايا الحرية والعدالة للآخرين، مهما كان انتماؤهم

الأيديولوجى أو العرقى أو العنصرى أو الدينى، ومهما كان لونهم أو جنسهم، وإحساس الإنسان المصرى بالآخرين والغايات المشتركة التى تربط بينه وبين الآخرين، وموقف الإنسان المصرى من التراث.. إلخ.

خلاصة القول، ينبغى أن يوضح المنهج أن دور ثقافة العقل يظهر واضحًا جليًا، عندما تتطرق إلى الواقع الذى يعيش فيه الإنسان المصرى، وتقدم إسهاماتها الرائعة من أجل تغييره إلى الأفضل، ومن أجل ربط هذا الواقع بما هو متوقع فى المستقبل، بهدف الإصلاح وتجاوز مراحل التخلف، وتحقيق التقدم، مع مراعاة أن «المستقبل يرتبط مع ثورة العلوم بثورة الحريات وكرامة الإنسان، وبإعادة بناء القيم والعلاقات الاجتماعية على أساس مفاهيم العصر: الحرية، والمساواة، والعدالة، الكرامة»(١٥).

ثانيا: التكنولوجيا الإنسانية:

فى ظل النظام العالمى الجديد، يتضمن الانتشار السريع للتقنيات الجديدة تغييراً اجتماعيًا سريعًا، وبجانب ذلك توجد «عوامل أخرى مشتركة، مثل السياسات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والمفاوضات والاتفاقيات بين الجماعات ذات المصالح المشتركة، بالإضافة إلى العادات الحياتية اليومية والسلوكيات الاجتماعية، وقيم المجتمع وتقاليده»(١٦).

وعلى الرغم من أن التكنولوجيا تؤثر فى الاقتصاد والتاريخ، فإنها تعتبر ناتجًا وتعبيراً عن الثقافة، لذا تباينت وجهات النظر التكنولوجيا. «وسواء نظرنا إلى التكنولوجيا باعتبارها وسيلة للسيطرة على الإنسان واستعباده وتدميره كما يعتقد عالم الاجتماع **هربرت ماركوس** أو الأديبة **سيمون دى بوفوار**، أو نظرنا إليها كما ارتأها **آدم سميث** على أنها تلك القوة التى ساعدت الإنسان على التحرر. ففى كلتا الحالتين نجد أنفسنا منغمسين فى نتائج التطور الهائل لهذه التكنولوجيا ومنساقين وراء هذا التطور التكنولوجى الهائل، ومهما كانت طموحاتنا، فإننا لانستطيع أن نتحاشى آثارها على حياتنا اليومية، ولا أن نتفادى الأزمات الأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية التى قد نواجهها بسبب التقدم التكنولوجى. ويمكن أن نلعنها أو نباركها، ولكننا لا يمكن أن نتجاهلها»(١٧).

والسؤال: ما المقصود بمصطلح التكنولوجيا؟.

بادئ ذى بدء، يجدر الإشارة إلى أن لفظة تكنولوجيا كمصطلح، له مضمون، ويقود إلى خطة عمل، ويؤدى إلى تحقيق أهداف بعينها، ما يزال يشوبه الغموض ويكتنفه الضباب.

لقد ناقشت إحدى وجهات النظر موضوع مصطلح التكنولوجيا مناقشة جادة، حيث نحتت جذور لفظة التكنولوجيا، مع ذكر الأوصاف الجديدة للتكنولوجيا، وذلك على النحو التالى:

وقد يكون من أسباب ذلك أن «التكنولوجيا» تعريب لكلمة أجنبية (Technology) وهى تعنى فى لغتها الأصلية كل المعارف والعلوم، التى تشرح كيفية عمل شىء ما، وتمتد من معرفة كيف يصنع الإنسان سكينا من الحجر فى مراحل تطوره الأولية إلى كيفية عمل حاسب آلى واسع الاستخدامات، أو طائرة عابرة للقارات، بل تمتد من الصناعة إلى كل النشاطات الإنسانية الهادفة.

وعندما قمنا بترجمتها إلى لغتنا العربية، وجد أن أقرب كلمة لها فى المعنى هى (علم التقنية)، وحذفت «علم» للتسهيل، واستخدمت «التقنية» والمستخرجة من فعل «أتقن»، وفى النهاية مفهوم التقنية ماهو إلا مجموعة من الأساليب والخطوات، التى تؤدى إلى منتج معين أو خدمة معينة بكل دقة وأمانة.

ويلفت الكثير من المفكرين والعلماء النظر إلى أنه حتى يكون هناك خطوات وعمليات لإنتاج سلعة معينة، لابد أن يسبق ذلك القدرة على الإبداع وإيجاد وتنظيم تلك الخطوات فكرياً، وقبل كل شىء تحديد الهدف النهائى منها وفائدتها للفرد والمجتمع.

ومن المعروف أن الإنسان يسعى لتحقيق غاياته، مستخدمًا طاقاته البدنية من ناحية، وملكاته وإمكاناته الفكرية والعاطفية من ناحية أخرى، فالعضلات والعقل هما ما نعرف على وجه اليقين بأنهما وسائل تحقيق الغايات للأغلبية العظمى من البشر المعاصرين، وعلى

وجه اليقين أيضا نعلم أن الحركة العضلية سبقت الفكر فى الغايات بين الأحياء على العموم، بل إن الفكر الخلاق هو ملكة وممارسة حديثة للإنسان فى ألفياته الأخيرة فقط، وفى القرن الأخير زاد المحتوى العلمى والمعرفى لما ينتجه الإنسان من سلع بصورة زاعقة وضاغطة. أما عن الهدف النهائى لحركة وفكر الإنسان فكان ومازال هو إقامة مجتمع، يسوده الرخاء والرضا فيكون الجسد مكتفيا بسد احتياجاته الحيوية، وتكون النفس مطمئنة فترجع فى النهاية إلى ربها راضية مرضية.. وهذا يعنى فى حقيقة الأمر أن السعى لتحقيق الاحتياجات المادية للإنسان من مأكل وملبس ومسكن.. وغير ذلك لايجب أن يتم بتجاوز جماع القيم والمعتقدات المعنوية والروحية للإنسان، والمصدر الأساسى لإلهامه والدافع لحركته فى الحياة.

فالتكنولوجيا إذاً هى علم خاص، ليس الغرض منه فقط المخزون المعرفى والفهم والتفسير، والذى قد يستخدم فى لاحق الزمان بل هو علم يمتد للاستثمار الفورى والمباشر للمعارف فى إنتاج آلة أو مادة جديدة، أو تطوير منتج قائم أو خدمة مطلوبة.

وظهرت أوصاف للتكنولوجيا، منها التكنولوجيا الحيوية (وتعنى كيفية التعامل مع المادة الحية فتغيرها أو تصلح عيوبها أو تطورها باستخدام وسائل هندسية، وعلى ذلك فهندسة الجينات أو ما يسمى بالهندسة الوراثية هى أحد مجالاتها المهمة).

وتكنولوجيا المعلومات (وتعنى التعامل مع المعلومات فتنظم وترتب وتحفظ وتحلل وتستخرج وتنقل.. إلى غير ذلك، سواء باستخدام الورقة والقلم أو باستخدام الحاسبات الآلية).

وتكنولوجيا الاتصالات (وتعنى كيفية التواصل بين الناس سواء باستخدام حركة اليدين أو كوزين وخيط أو محمول أو بريد إلكترونى).

واختلفت مستوياتها من «التكنولوجيا العالية» كثيفة المحتوى العلمى

إلى «التكنولوجيا التقليدية» المعتمدة على معارف سابقة وممارسات موروثة.

على أى حال هناك من الخبراء من يعرف التكنولوجيا بأنها نسق معرفى، يتوسط بين العلم والصناعة، قد يميل نحو العلم حينا أو نحو الصناعة حينا آخر، ولكنها تبقى فى كل الأحوال علما أو نسقا معرفيا أو منظومة متكاملة من العلم الأساسى والعلم التطبيقى وعمليات الإنتاج؛ بهدف كفاية حاجات قائمة وتحسين نوعية الحياة فى إطار قيم معنوية وأخلاقية خاصة بكل مجتمع حسب تاريخه ونشأته وتطوره[١٨].

وبعد العرض السابق لمفهوم مصطلح التكنولوجيا، مع ذكر بعض أوصافها، يكون من المهم طرح السؤال المهم التالى:

ما موقع التكنولوجيا فى عصر حضارة الموجة الثالثة؟

يرى **ألفن وهايدى توفلر** أن المحصلة النهائية لحضارة الموجة الثانية (الحضارة الصناعية)، هى انقسام العالم بطريقة لم يسبق لها مثيل، إذ شطر العصر الصناعى العالم إلى حضارة الموجة الثانية القوية المسيطرة (الدول الصناعية المتقدمة التى تمثل المجتمع الصناعى الكبير)، وإلى عشرات المستعمرات الغاضبة الخاضعة التى تتبع الموجة الأولى (الدول الفقيرة والنامية التى ارتبطت بالأرض والحضارة الزراعية). وقد نشأ كثيرون منا فى هذا العالم الذى انقسم بين حضارة الموجة الأولي، وحضارة الموجة الثانية، وكان واضحًا تمامًا أيهما تسيطر وتمسك بعنان القوة»[١٩].

أيضا، يرى **توفلر** أن العالم قد دخل عصر حضارة الموجة الثالثة (عصر مجتمع ما بعد التصنيع، أو عصر التكنولوجيا رفيعة المستوى)، حيث أفرز هذا العصر «ما يمكن تسميته اقتصاد الموجة الثالثة.. وهو اقتصاد قائم على إنتاج المعرفة بالدرجة الأولى، وبذلك يتراجع اقتصاد الموجة الأولى الذى كان قائما على العمل البدنى والمواد الخام، واقتصاد الموجة الثانية الذى كان قائما على (الصناعة التقليدية)، ويظهر اقتصاد الموجة الثالثة القائم على إنتاج برامج الكمبيوتر، والمنتجات

الزراعية والأدوية التى يتم إنتاجها بكميات هائلة بتكلفة قليلة باستخدام الهندسة الوراثية، وبيع المخترعات الحديثة فى تكنولوجيا الصناعة والعلاج والاتصالات، وهكذا.. ونصل إلى الصدمة الكبرى، وهى أن عصر الاعتماد على المواد الخام والأيدى العاملة قد انتهى، ودخلت البشرية عصر الاعتماد على العقول.. والعلوم.. والمعرفة.. وتحولت قوة الدولة ومصادر ثروتها تحولاً كاملاً إلى هذا الاتجاه»[٢٠].

ونتيجة لما تقدم، أصبحت الصيغة الشائعة التى تحكم وتتحكم فى قوة العمل، كما يراها **هانس ـ بيترمارتين وهارالد شومان**، أن ٢٠٪ يعملون، ٨٠٪ لايعملون، وبذا انتشرت البطالة وزادت معدلاتها على مستوى جميع دول العالم بلا استثناء[٢١].

إذًا، أحد مردودات التكنولوجيا فى وقتنا هذا، هو تعاظم حجم البطالة، الذى لم يشهده العالم من قبل، وما ترتب على ذلك من مردودات اجتماعية خطيرة، ومن أمراض نفسية صعبة.

أما المردود السلبى الثانى، هو تأثير التكنولوجيا على حرية الإنسان الشخصية، وفى هذا الصدد، يناقش **مصطفى الفقى** من خلال حوارات عصرية، قضية: التكنولوجيا والحرية الشخصية، على أساس خصوصية الفرد الآن خرجت من جغرافيا الأشخاص لتستقر فى تاريخ الإنسان، وأصبحت تعبيراً بغير دلالة؛ لأنها باتت قابلة للاختراق فى أى لحظة، ولم تعد لها حصانة طبيعية كتلك التى احتمت بها من قبل. لقد انتهكت الحرية الشخصية بسبب تأثير تكنولوجيا الاتصالات، على النمط نفسه الذى اهتزت به نظرية سيادة الدولة، نتيجة مفهوم الشرعية الجديد فى ظل عولمة السياسة الدولية.

ولقد أظهرت الحوارات بين الحرية الشخصية والتكنولوجيا الحديثة عن الوقائع المهمة التالية[٢٢]:

الحوار الأول:

*** الحرية الشخصية:**

حق مستقر فى تاريخ البشر، يرتبط بتلك التركيبة المعقدة للإنسان

الذى يملك خصوصية ذاتية تجعله فى حوار مستمر مع النفس بصورة، يصعب معها أحيانا التنبؤ بما سوف يفعل، وقد استقر فى وجدان الإنسان أن كثيراً مما يفكر فيه لا علاقة له بما يعلنه؛ أى إن هناك هامشًا ضخمًا بين الحوار الداخلى والحوار المعلن. وعلى أساس هذه المعادلة مضت البشرية فى طريق طويل، وعبر الإنسان مراحل مختلفة على امتداد القرون، ولو تصورنا أن حجم الأسرار التى يحملها الفرد العادى على كاهله باعتباره الشاهد الأول على كل ما فعل منذ مولده حتى رحيله، فإن هذا التصور لم يعد له وجود حقيقى؛ إذ لم يعد الإنسان هو الشاهد الوحيد على مسيرة حياته الذاتية، بل بدأت تشاركه فى ذلك أجهزة تقنية حديثة بدءاً من الأقمار، التى تدور فى السماوات وصولاً إلى المحمول الذى يضعه فى جيبه.

* التكنولوجيا الحديثة:

هى الجوهر الحقيقى للتقدم، وهى الإعلان الصريح عن الانتقال من مرحلة إلى مرحلة، كما أنها نتاج للعقل الإنسانى الذى أصبحت تراقبه، والإنسان دائمًا هو صانع كل ما له تأثير فى حياة عصره، كما أن لكل الاكتشافات والابتكارات آثاراً سلبية معينة، إلى جانب آثار إيجابية ضخمة. وعلى الإنسان أن يقبل ما أنتجه عقله بالخير أو بالشر، وإذا كانت الإنسانية قد قطعت أشواطًا ضخمة فى التقدم العلمى الهائل خصوصًا فى مجال تكنولوجيا المعلومات، فإنه يظل رهينة تلك النقلة النوعية الضخمة فى أسلوب الحياة وطريقة التفكير، فلقد قدمت التكنولوجيا فى العقود الأربعة الأخيرة وحدها، ما أصبح يهيئ الساحة العالمية لعملية مسرح شامل، تقتحم العقول وتخترق الصدور لتعرف ما فى القلوب!! إننا بحق أمام انقلاب ضخم فى العلاقات الإنسانية نتيجة التقدم المبهر فى شبكة الاتصالات الحديثة.

الحوار الثانى :

* الحرية الشخصية :

لقد كانت واحدة من أعظم نعم الخالق على الإنسان أنه يستطيع أن يفكر فى أمر ما، دون أن يعلن عنه، كما أنه كان يستطيع أن يحتفظ فى داخله بصندوق مغلق، يشبه ذلك الصندوق الأسود للطائرات لايعرف مضمونه كاملاً إلا بعد رحيله أحيانًا، مثل صندوق الطائرة الذى تبدأ قيمته الحقيقية عند تعرضها لحادث النهاية، كذلك عاش الإنسان دهراً طويلاً، وهو يطوى النفس على خصوصيته لا يشاركه فيها أحد، ولكن ذلك لم يستمر على ما كان عليه، بل بلغ الأمر إلى مستوى الدول ذاتها؛ فلم تعد للسرية السياسية تلك القداسة التى تمتعت بها طوال العصور الماضية. إنهم يقولون الآن إن الوثيقة التى تحمل أعلى درجات السرية لدى الإدارة الأمريكية تصبح معروفة لسبعين شخصًا على الأقل، وهو أمر يجعل مفهوم السرية تعبيراً نظريًا أكثر منه حقيقة عملية، والمؤكد أنه قد جرى على الحرية الشخصية ما جرى على الحريات الأخرى فى هذا السياق.

* التكنولوجيا الحديثة:

لقد قطعت وسائل الاتصال شوطًا هائلاً فى السنوات الأخيرة؛ بحيث أصبحت تكنولوجيا المعلومات هى بحق المبرر الأساسى للحديث عن العولمة بمعناها الشامل، فهى التى ألغت الحدود وأسقطت الحواجز، وسمحت لنا بالحديث الدائم عن عالم واحد ينتقل فيه الخبر خلال دقائق معدودة إلى أركان الدنيا الأربعة، ولم يعد ممكنًا التستر على معلومة أو إخفاء خبر أو ضرب سور من العزلة على حقائق معينة، كما أن الإنسان ـ باعتباره وحدة الكون الأساسية ـ أصبح مكشوفًا لكل من يرصده، فأجهزة التسجيل متاحة والأقمار تجوب السماوات ليل نهار، وحتى أجهزة الكشف عن الكذب دخلت هى الأخرى الميدان لكى تحرم الإنسان من المراوغة والتلاعب على الحقيقة، وتجعله معرضًا لكل محاولات الاقتحام، التى قد يعرفها أو التى لا يشعر بها أيضًا، فالكل مرصود ولكن

بدرجات متفاوتة وفقًا لأهمية الشخص ومكانته وقيمته، والذى فتح ملف القضايا الكبرى فى العصر الحديث هى التسجيلات الصوتية التى اهتمت بها كثير من الأنظمة، واستغرقت فيها بشكل لا مبرر له أحيانًا اعتمادًا على أجهزة التنصت والتسمع واقتحام الخصوصيات، وإذا كان الانطباع السائد لدينا منذ سنوات أن رجال المخابرات وشبكات التجسس يعملون فى سرية تامة، إلا أن هذا المفهوم لم يعد له وجود حقيقى، فالكل يرصد غيره ويتلصص على سواه، إننا فى عصر يبلغ فيه حجم المتاح من المعلومات المتداولة أكثر من خمسة وتسعين بالمائة من الحجم الكلى للمعلومات المختزنة.

المحور الثالث :

* الحرية الشخصية:

سوف يؤدى تقلص حجم الحرية الشخصية المتاحة إلى ظهور إنسان نمطى قد تكون ابداعاته محدودة وذاته ملغاة، فضلاً عن أن كرامته قد تصبح مهدرة، بل إننى أرى أن المجتمع والأسرة وطبيعة العلاقات السائدة فيهما سوف تتأثر كلها بما يحدث؛ لأن شبكة جديدة من العلاقات سوف تتكون وفقًا للانفتاح الكامل على ساحة الحياة العامة المعاصرة، ومازلت أذكر أن أحد أساتذتى الكبار أثناء المرحلة الجامعية كان يقول إنه قد وطن نفسه دائمًا على وجود طرف ثالث، يشارك فى كل اتصالاته الهاتفية، واعترف أننى من أكثر الناس استخدامًا لذلك الجهاز اللعين ـ ثابتة ومحمولة ـ وهو أمر جر على كثيراً من المتاعب؛ لذلك فإننى ازداد تمسكًا بمفهوم الحرية الشخصية، واعتبرها مطلبًا عزيزاً على الإنسان يرتبط بحق طبيعى له، وليس مجرد حق وضعى يعتمد على سند دستورى أو نص قانونى.

* التكنولوجيا الحديثة:

إن كل ما طرأ على البشرية من اكتشافات هائلة واختراعات ضخمة كان له وجهان: أحدهما ايجابى والآخر سلبى، ولا نستطيع فى هذا المقام أن ندين التكنولوجيا؛ لأنها قد تؤدى إلى الإعدام الكامل

للحرية الشخصية والإنهاء الحقيقى على ذاتية الفرد، ولكننا نقول إن الذى يستحق الإدانة هم أولئك الذين عمدوا إلى استخدامها، وتوظيف إمكاناتها لخدمة أهداف، قد لا تعتمد على أسس أخلاقية أو أسباب موضوعية؛ إذ إن عمليات التصنت والمراقبة التكنولوجية والمتابعة الفنية يجب أن تكون كلها على أسس مبررة، استناداً إلى أمر قضائى أو سبب قانونى، أما أن يتم توظيف التكنولوجيا الحديثة فى مصادرة الحريات وقهر الذات وتفتيش العقول، فإننا نكون بصدد ردة حقيقية قد تزدهر معها التكنولوجيا، ولكن تنحسر بها الحضارة، والفارق بينهما لا يخفى على من يدرك طبيعة كل منهما.

وهذه ليست نظرة جديدة لقضية قديمة، فالذى اخترع «الديناميت» لم يكن يقصد به التدمير والخراب، كذلك فإن الذين اخترعوا الأجهزة الحديثة لم يقصدوا بها إلا نفع البشرية ومصلحة الإنسان، وإذا كان هناك عالم خفى آخر تنشط فيه أجهزة مكافحة التجسس ومقاومة الفساد والرقابة على المعلومات والأموال، فإنه يتعين أن يكون لها جميعًا ضوابط تقف عندها، وألا يصبح الأمر سباقًا مفتحًا، يمرح فيه كل من يريد أن يقوم بعملية اختراق لخصوصية الأفراد بدوافع لا تخلو من فضول ورغبة فى وضع الآخرين تحت السيطرة لأسباب وظيفية أو عائلية. إن استخدام التكنولوجيا فى تصوير الأشخاص دون علمهم أو التسمع إلى أسرارهم أمر يرفضه المزاج الوطنى العام وتلفظه الأعراف المصرية الصميمة، فضلاً عن أنه يتعارض مع القانون نصًا وروحًا، وفى ظنى أن التصنت والتسمع يقترنان بالأنظمة الدكتاتورية أو شبه الدكتاتورية، ويتقلص وجودهما فى ظل الديموقراطيات لأن عورات الناس ليست مادة مباحة، مهما تقدمت التكنولوجيا أو ضاقت مساحة الحريات.

وقد استطاع الفقى استخلاص عدداً من النتائج المرتبطة بهذه القضية، هى:

(أ) إذا كان اللجوء إلى توظيف التكنولوجيا الحديثة فى الحصول على الأخبار والمعلومات ومتابعة السلوك العام لبعض الشخصيات ممكنًا، فإنه يتعين أن يكون ذلك محكومًا بإطار من المشروعية، وألا يصل إلى مرحلة يتم فيها تجاوز القانون أو الاعتداء على الأخلاق، فحماية أمر الوطن واجب يصبح أمامه كل إجراء مشروعًا، كما أن التصدى للفساد هو الآخر غاية يصعب الاعتراض عليها، ولكن الوسائل إلى ذلك كله تظل محكومة بإطار موضوعى لا تخرج منه ولا تنحرف عنه.

(ب) إن تكنولوجيا الكومبيوتر وعالم الإنترنت أصبحا يتيحان كمًا هائلا من المعلومات والأخبار، التى سوف ينكمش معها بالضرورة حجم الحاجة إلى محاولة الحصول عليها بطرق سرية؛ إذ إن حجم المعلن فى العالم المعاصر يتجاوز آلاف المرات ما كان متاحًا منه منذ قرن مضى.

(جـ) إن القضية برمتها هى واحدة من قضايا عديدة، تطرحها التكنولوجيا المعاصرة التى تقدم كل يوم جديدًا وتعطى إحساسًا متزايدًا بأن العولمة لا تقف عند حدود الدول، ولكنها ربما تتجاوز ذلك إلى اختراق المجموعات والأفراد بشكل غير مسبوق فى تاريخ البشرية كلها

... إن كل الذى يعنينا من طرح هذه القضية هو أن نعبر عن مخاوفنا من أن تزايد حجم العدوان على الحرية الشخصية البريئة قد يؤدى إلى قمع الفكر وقهر الرأى وتعطيل الإبداع؛ إذ ليس أشق على المفكر أو المثقف أو الفنان من تلك القيود التى لا تستند إلى مبرر ولا يحميها قانون، ولقد برع المجتمع الأمريكى الحديث برغم التكنولوجية الهائلة ـ بل ربما بسببها ـ فى انتهاك الحريات الشخصية واقتحام الخصوصيات الفردية، بل إن الذين تابعوا تطورات قضية الرئيس الأمريكى (كلينتون) مع خليلة عابرة، قد أدركوا بوضوح أننا

أمام نسيج جديد للعلاقات بين البشر لم يكن مألوفًا من قبل، وأننا بصدد ظهور علامات فارقة، تفصل بين ماضٍ كانت فيه الفردية والذاتية والخصوصية أمورًا يمكن احترامها، حتىّ جاء عصر العولمة ابنًا شرعيًا للتقدم المذهل فى تكنولوجيا المعلومات، فحدث انقلاب هائل أدى إلى جعل الأفكار والآراء والأسرار أمورًا مكشوفة يصعب حجبها أو التستر عليها، ولابد لعالم اليوم من الوصول إلى نقطة توازن، تسمح باحترام المعادلة الصعبة بين التكنولوجيا الحديثة فى جانب والحريات العامة والشخصية فى جانب آخر، فإذا كان قد قيل قديمًا إن الحاجة أم الاختراع، فإننا نقول اليوم أن الحرية أم الإبداع.

وإذا كان الحديث السابق، قد أبرز التأثير السلبى للتكنولوجيا على حجم العمالة، والذى أظهر احتمال وضع قيود حديدية على حرية الفرد فى التعبير عن ذاته، بسبب التكنولوجيا، فذلك لا يعنى من قريب أو من بعيد أن التكنولوجيا أصبحت الوحش الكاسر، الذى جاء ليفترس الإنسان، وأنها السلاح الموجه ضد الإنسان ليصيبه فى مقتل، لسبب بسيط جدًا، وهو أن التكنولوجيا فكر فيها وصنعها الإنسان نفسه، من أجل رفاهيته. لذا، إذا تم استغلال التكنولوجيا بطريقة سيئة، فليس العيب فيها، وإنما العيب فى المسيطرين عليها والمالكين لها.

تأسيسًا على ما تقدم، لا يستطيع أى فرد ـ مثقف أو متعلم ـ أن يتجاهل أو ينكر أن الفضل الأول فى تحقيق إنجازات العصر المبهرة والعظيمة، يرجع إلى العلوم الطبيعية وتطبيقاتها التكنولوجية، وذلك ما يظهره الحديث التالى[٢٣]:

هذه الحقيقة تؤكد أهمية الدور الحيوى الذى لعبته التكنولوجيا الإنسانية، (تكنولوجيا التعاون البشرى)، أى الإدارة عالية الكفاءة والجودة والتنظيم المحكم الأداء، ذى القدرة الفائقة على جعل هذه الإنجازات ممكنة. وبمعنى أدق، فطن الإنسان المثقف أو المتعلم إلى أهمية الدور، الذى أسهمت به تكنولوجيا التعاون البشرى فى تحقيق أعظم إنجازات البشر. وإذا كان سير الإنسان على القمر، والتوصل إلى الفيمتو ثانية، ثمرة من ثمار العلوم الطبيعية وتطبيقاتها، فهى أيضا

ثمرة العلوم الإنسانية والاجتماعية وتطبيقاتها. أليست الإدارة هى التنسيق بين جهود مجموعة من البشر، تتعاون اختياريا لتحقيق هدف معين؟

ففى مثال أرمسترونج، كان إنجازه يؤكد تضافر جهود عشرات المنظمات الضخمة وتعاونها، بما تضمه من قدرات وخبرات ومهارات وطاقات، وعطاء عدد ضخم من العلماء والمتخصصين والفنيين والإداريين والعاملين، أمكن تحقيق التعاون والتنسيق بينهم لإحكام بلوغ الهدف المشترك على الأرض وفى الفضاء وعلى سطح القمر. مثلما أمكن تهيئة الكثير من العوامل والظروف والإمكانات والاحتياطات؛ لجعل التعاون البشرى فى كل الظروف والأحوال فى قمته، وفى أوج عطائه. وكان هذا ممكنا من خلال عمل منظمات ومؤسسات وتنظيمات إدارية، عالية الجودة محكمة الأداء منسقة العمل متناغمة التعاون.

ومرة ثانية أيضا، نجد أحمد زويل يؤكد أن إنجازه العلمى العظيم لم يكن نتاج عمله منفردا. وإنما هو نتيجة مؤكدة لعطاء فريق عمل ضخم من الباحثين والدارسين والمتخصصين والعلماء، قوامه ١٥٠ عالماً وباحثاً، اتحدوا جميعا فى منظومة بشرية فى تنسيق وتعاون وتكامل للعمل بروح وفكر وقصد موحد؛ لعزف سيمفونية رائعة بقيادة مايسترو فذ وقدير؛ ليحققوا هدفا مشتركا هو «الفيمتو ثانية». هذه السيمفونية المتناغمة لا تشوبها الأنانية، ولا يهددها عدم وضوح الرؤية، أو نقص المعرفة، أو عدم الإخلاص، أو إخفاء الحقائق. الفيمتو ثانية إذاً إذا كان ينظر إليها كثمرة من ثمار العلوم الطبيعية وتطبيقاتها، فهى أيضا ثمرة من ثمار التكنولوجيا الإنسانية.

هكذا نصل إلى حقيقة الدور الحيوى لتكنولوجيا العلوم الاجتماعية والإنسانية، وأخص هنا تكنولوجيا التعاون البشرى، وأقصد بالتحديد «الإدارة»... هذا الدور الذى يمتد عبر طبقات التاريخ، هو حقيقة

أزلية منذ عصر بناة الأهرامات. فعن طريق الإدارة والتنظيم أمكن لبناة الأهرامات منذ آلاف السنين أن ينفذوا أضخم مشروع فى الحضارات القديمة، وصف بأنه إحدى عجائب الدنيا السبع. وبناء الأهرامات إن كان قد وصف بمعجزة من نتاج علوم الهندسة والعمارة والفلك والرياضيات، فإنه ـ من وجهة نظرنا ـ يمثل معجزة إدارية، استخدمت فيها تكنولوجيا التعاون البشرى على أفضل وجه، فقد اقتضى بناء الأهرامات عملا إداريا وتنظيميا ضخماً وفعالاً بكل المقاييس، شمل عمليات استجلاب العمالة وإسكانها وإعاشتها وتدريبها وتوزيعها على المهام المختلفة، والإشراف عليها وتوجيهها وتنسيق جهودها وحفزها على الأداء ورقابتها، ومباشرة كل ما تتطلبه مقومات عملية إدارية تنظيمية ناجحة، تستهدف تحقيق الهدف المنشود وهو بناء الأهرامات.

إن الحديث عن التكنولوجيا الإنسانية يمكن أن يتناول تطبيقاتها فى مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة وغيرها. لكننا نهتم هنا بتكنولوجيا التعاون البشرى أى الإدارة فقط. والحديث عن تكنولوجيا التعاون البشرى الآن فى عصر ثورة الاتصالات والمعلومات يختلف عنه فى عصر الثورة الصناعية، التى نعاصر اليوم الكثير من إسهاماتها ونتائجها، وذلك بسبب التحول العميق الذى أحدثته ثورة الاتصالات والمعلومات فى نظم ومقدرات هذا الكون. وبسبب النقلة الحضارية المعاصرة التى استحوذت على اهتمامات العالم بكل منظماته ومؤسساته، واكتساح هذه الثورة لكل الحدود والحواجز فى موجة عاتية عابرة للقارات والمحيطات والبلدان بفعل العولمة أو الكونية.

هذا التحول المهم فى تتابع الثورات، أتى بتحولات عميقة فى مجالات التكنولوجيا الإنسانية؛ خاصة تكنولوجيا التعاون البشرى فى مجال الإدارة والتنظيم. وثمة ملامح مهمة واضحة لمعطيات هذا التحول، الذى نعيشه اليوم، يهمنا أن نرصدها هنا.

أولا: بيتما كان التعاون البشرى خلال الثورة الصناعية تعاونا فى الأداء بالدرجة الأولى، ويعتمد فى معظم الأحوال وللمجالات على الجهد العضلى، ومتمثلا فى خط الإنتاج الصناعى. وهذا الخط المعرفى الجديد مقوماته ومضات الأفكار وإبداعات البشر والإبتكارات، والتعاون فى الفهم والتعلم والتحديث والمبادأة والابتكار. وهذه عملية تتعدى كل الحدود الجغرافية والإقليمية والدولية والقارية.

ثانيا: إن إدارة المنظمات الحديثة، نتاج الثورة المعلوماتية، لم تعد كسابقتها إدارة بالرقابة وإدارة آمرة ناهية وإدارة بالنظم واللوائح، وإنما أصبحت إدارة بالاتفاق والإقناع والاقتناع، وإدارة بالتفاهم والحوار وتبادل الأفكار والمعارف. وهذا الاتجاه الحديث فى الإدارة يتطلب قدراً كبيراً من المعرفة والعلم والتفوق والثقة بالنفس، مما يجعل مهمة القادة والمديرين صعبة. فما أصعب إدارة المنظمات العلمية، أو القائمة على المعارف الحديثة خاصة فى مجالات الاتصال والمعلومات، حيث تتجدد المعارف بسرعة غير مسبوقة، ونكتشف أن ما نتعلمه اليوم، قد لا يكون صالحا لأغراض الحياة فى الغد، وحيث يعتز كل عامل بفكره ورؤيته.

ثالثا: فى ظل هذا التحول فى إدارة البشر، أصبح الرؤساء يتعلمون من مرؤسيهم، وأصبح لهؤلاء المرؤسين، الذين سبقوا فى الأخذ بأسباب المعرفة فى مجالات الثورة المعلوماتية وثورة الاتصالات دور كبير فى تعليم الرؤساء وتنشيط وتجديد معلوماتهم، بل ودفعهم إلى القراءة والتعلم، والإلمام بكل جوانب المعرفة المهنية الجديدة. والرؤساء الآن يتقبلون هذا الدور الذى يلعبه مرؤوسهم فى حياتهم العملية، ليس بالضرورة عن اقتناع والتزام بأهميته، وإنما أيضا لضرورة الحفاظ على ماء الوجه، والاحتفاظ بدورهم الحيوى فى التوجيه والرقابة والتقييم لعناصر سبقتهم فى التعلم؛ لأنه فى غياب هذا الدور الحيوى ينتفى المبرر القوى لوجودهم كرؤساء.

رابعًا: وفى ظل هذا التحول أيضا يضطلع القادة بأدوار جديدة اقتضتها ثورة الاتصالات والمعلومات، وما رتبته من تغييرات جوهرية فى أساليب استخدام تكنولوجيا التعاون البشرى؛ فجوهر عمل القادة الآن يتركز فى أنهم ملهمون لا معلمون، ومستنفرون لا مراقبون. ولم يعد القائد ضابط إيقاع فقط، وإنما أصبح له دور استنفارى، ومهمته استخراج أفضل ما فى البشر من قدرات خلاقة ومبدعة، ومن مسئولياته توفير درجة مستحبة من التوتر الصحى الباعث على تحدى الأفكار السائدة وعدم الاسترخاء، دور باعث على نبذ الاستكانة، وعلى التنافس واستنهاض الهمم. بذلك يكون السبق لهم دائما قبل أن يسبقهم غيرهم.

خامسًا: الاتجاه إلى الإدارة من خلال فريق العمل، والتخلى عن الالتزام بمبدأ الهيكل الوظيفى الرسمى. وهنا لم يعد الفرد وحده هو المحور الأساسى فى إنجاز العمل، وإنما أصبح المحور هو فريق العمل. وبناء الفريق داخل منظومة العمل أحد الأساليب الحديثة الفعالة فى رفع كفاءة الأداء وإذكاء روح الفريق وترابط الجماعة. وفرق العمل ـ حتى المؤقت منها ـ التى تعمل فى شكل مصفوفة خارج نطاق الهيكل التنظيمى، تتألف عادة من مجموعة تخصصات لإنجاز مهمة محددة. هذا الأسلوب يصلح بصفة خاصة لإنجاز المهام العلمية أو المعقدة أو عالية التخصص، التى تتطلب قدراً كبيراً من التحرر والمرونة فى التفكير واتخاذ القرارات، وهو الأسلوب الذى يسير عليه العمل فى وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) على سبيل المثال.

سادسًا: إذا كان عالم ثورة المعلومات والاتصالات عالماً على الشيوع، وعالمًا بلا هوية، لا تستأثر به دولة دون أخرى... عالمًا موجهًا من الخارج بفعل قوى العولمة والمؤسسات والكيانات الضخمة والاندماجات المتوحشة، التى تكتسح كل ما يصادفها وتؤثر فيه إلى

أبعد مدى.. إذا كان ذلك كذلك، فإن تكنولوجيا التعاون البشرى ـ الإدارة ـ يمكن أن تحافظ على هويتها، على الرغم من الغزو التكنولوجى المكتسح؛ ذلك أن التكنولوجيا الإنسانية تتأثر بأحوال وثقافة مجتمعها وتراثه، وبالعوامل البيئية التى تجعل من مجتمع معين مجتمعا ذا سمات وخصائص معينة. وحتى ما يستورد من هذه التكنولوجيا فإنه يخضع لعوامل التكيف والأقلمة والتنقية وتوفيق الأوضاع، ومن ثم التوطين. وهذه الاعتبارات جعلت نقل التكنولوجيا الإنسانية عملية صعبة، بسبب تفرد نظام القيم فى كل مجتمع، وبطء نتائج محاولات تغيير الاتجاهات وأنماط السلوك والقيم، وتعذر نقل تجربة إنسانية ناجحة فى مجتمع ما، ومحاولة استزراعها فى مجتمع مختلف، ثم توقع نجاحها بالدرجة نفسها.

سابعًا: إن الاستثمار فى البشر هو أعظم استثمار يعطى أفضل عائد. وفى العصر الحديث تأخذ عملية تنمية الموارد البشرية قيمة كبرى واهتماماً متزايداً؛ لأن البشر هم محدثو التنمية، وهم بالقدر نفسه نتاجها. والجوانب السلوكية فى هذه العملية هى ركيزتها الحقيقية، لذلك فإن تعليم الفرد وإعداده وتدريبه وتنميته ونقل التكنولوجيا الحديثة إليه، عناصر مهمة لنجاحه وتفوقه. ولا يقل أهمية عن هذه العناصر معرفته بالتكنولوجيا الإنسانية وإدراكه لأهميتها كركيزة أساسية للنجاح، ونخص هنا تكنولوجيا تحقيق التعاون البشرى، أى الإدارة. وحتى يمكن أن تكون النتائج عند أقصى مداها، يلزم أن تكون التكنولوجيا الإنسانية المتاحة والمستخدمة فى أعلى مراتب التقدم، ويتوافر لها كل مقومات النجاح.

إن تكنولوجيا العلوم الإنسانية مازالت متخلفة كثيرا عن المستوى الذى وصلت إليه تكنولوجيا العلوم الطبيعية. والسبب واضح، وهو أن العلوم الاجتماعية والإنسانية ليست بدرجة التحديد العلمى نفسها والرشد والدقة والنقاوة، التى تتصف بها العلوم الطبيعية،

وذلك بسبب تأثر العلوم الاجتماعية وتطبيقاتها باعتبارات الزمان والمكان والعوامل البيئية والثقافية ونظم التعليم والقيم والعادات وأنماط السلوك والمواريث الاجتماعية وغيرها.

والأمل فى النجاح يرتبط بمدى قدرتنا على أن نتغير بسرعة الأحداث نفسها التى تجرى فى عالم اليوم. والتغيير المطلوب والملح الآن هو تغيير فى القيم والعادات وأنماط السلوك وأسلوب أو طريقة التفكير. حتى يمكن أن يكون للتكنولوجيا الإنسانية فرصة لكى تطبق دون إعاقة، ولكى تعطى نتائجها المرجوة دون تعثر. وإلا فإن حالنا يصبح أشبه بحال عداء يجرى فى مضمار سباق بسرعة عالية، وشريط النهاية يتحرك أمامه بسرعة أعلى، فمالم يضاعف من سرعته للحاق بخط النهاية، فأغلب الظن أنه سوف يبقى متخلفا عن اللحاق بالأبعاد المترامية لعصر العولمة.

وبعد التطرق إلى مفهوم التكنولوجيا الإنسانية، وتوضيح جوانبها وأبعادها، يتبقى السؤال المهم التالى:

مادور المنهج التربوى فى تعريف المتعلم أبعاد التكنولوجيا الإنسانية؟ وكيف يكسبها له؟

تتمثل إجابة السؤال السابق، فى الآتى:

* أن يبرز المنهج أن التكنولوجيا أولاً وأخيراً من صنع الإنسان، من أجل خيره ونفعه ورفاهيته، لذا يجب استخدامها كنشاط إنسانى، يستخدم العقل فى حل بعض المعضلات العلمية، وفى حل المشكلات الحياتية، واستخراج ما فى الطبيعة من كنوز وثروات، وإيجاد الأساليب المناسبة لحماية الإنسان من غضب الطبيعة، وتسهيل عملية الاتصال والتواصل بين الأفراد فى أى مكان، . . . إلخ. لذا، يجب أخذ الجانب الإيجابى لاستخدامات التكنولوجيا، والسيطرة على الجانب السلبى، إذا ما حاول البعض توظيفها ضد مصلحة وأمان الإنسان.

* أن يسهم المنهج فى مراجعة موقفنا التكنولوجى بدقة وتجرد، فى ضوء عديد من الاعتبارات، منها على سبيل المثال ما يلى:

- إسهام الوسائل التكنولوجية الدقيقة فى تحقيق التقدم المتسارع فى مجالات العلوم والفنون.
- توظيف تكنولوجيا نظم المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات فى القفز فوق الحواجز، التى تصنعها الإجراءات الروتينية المحلية فى شتى المجالات.
- تأكيد أن التكنولوجيا تقوم على أساس شعار «السيادة للأجود»، لذا تتحكم التكنولوجيا المتقدمة فى العلاقات على مستوى العالم، من خلال المنافسة فى سوق العرض والطلب.

* أن يبرز المنهج أن التقدم العلمى والتكنولوجى، الذى تمثل المعلومات والاتصالات أهم ركائزه، يمكن امتلاكه عن طريق الأساليب التالية:

- القدرة على ملاحقة التطور السريع فى الحاسبات والنظم الإلكترونية، باعتبار أن هذه الوسائل تتحكم فى غزو الفضاء بالقدر نفسه الذى توجه فيه حركة السلع والخدمات. باختصار، لم يعد هناك نشاط لا تدخل الحاسبات والنظم الإلكترونية عاملا أساسياً فى صناعته أو إدارته.
- القدرة على امتلاك وسائل التنمية التكنولوجية اللازمة لتعظيم استغلال الطاقات والموارد الطبيعية، وحل المعادلة الصعبة بين خفض تكاليف الإنتاج، وتقليل الفاقد، وتحقيق، الجودة وضمان المنافسة وزيادة العائد، وكذلك استثمار القوى البشرية، القادرة على قيادة الفكر المتقدم وصناعة الإبداع وتحفيز الابتكار.
- القدرة على امتلاك وسائل تحقيق نهضة المعلومات، وتطبيقها بجدية فى جميع مجالات الحياة، والانتقال من مرحلة نقل التكنولوجيا إلى توطينها والمساهمة فى التطوير المستمر لوسائلها، عن طريق نظام معلومات متقدم دائم التحديث.

* أن يبين المنهج أن مفهوم تكنولوجيا المعلومات قد تغير تغيراً جذرياً، فى ضوء المستحدثات العلمية والإنجازات التقنية، التى تحققت خلال السنوات الأخيرة، بحث أصبح هذا المفهوم شاملاً مايلى:

- الفرق بين البيانات والمعلومات والمعارف والذكاء، حيث تبرز قيمة المعلومات من بين هذه المصطلحات، باعتبارها الداعم الرئيس لصنع واتخاذ القرارات.
- نشأة المعلومات، فالمعلومات هى ناتج العلاقات بين الأشياء والأفعال والأفكار، ومن المنطقى أنه كلما زادت ديناميكية العلاقة بين هذه العناصر زادت القدرة على توليد المعلومات، وكلما كان تناول هذه المعلومات دقيقا كانت نتائج تداولها دقيقة، ومن ثم يكون القرار صائبًا أو أقرب إلى الصواب.
- مفهوم تشابك قضية تداول المعلومات مع قضية سرعة هذا التداول بهدف إيجاد التواصل بين مراكز المعلومات وفروعها؛ حيث يحقق هذا التواصل كسر حواجز الزمان والمكان، وتخطى المركزية، فمن المعروف أنه كلما زادت القدرة على تداول المعلومات بالسرعة المناسبة، زادت معدلات التقدم واللحاق بروح العصر، وهنا تبرز قيمة الاتصالات كأحد أهم عوامل ثورة المعلومات.

* أن يوضح المنهج أن نجاح النظم الآلية، وتعاظم دورها فى صناعة المستقبل، يمثل دافعاً قوياً للمبادرة إلى إحداث التكامل بين الآلة والعقل، حيث يتطلب ذلك إعادة بناء العقل الإنسانى، وتقويم مصادر معرفته، لتحقيق السيطرة على الجديد فى مجال تكنولوجيا التعليم، من خلال تحقيق الآتى[٢٤]:

١ ـ الفهم الدقيق لخصائص المعلومات، وعدم استغلال المعلومات المتوافرة استخداما، يغلب عليه التخمين والتقريب بحجة عدم توافر المعلومات الدقيقة. إن ذلك سوف يؤثر على عنصر جودة

المعلومات، الذى سيخل بمبدأ «السيادة للأجود» الذى سبق الحديث عنه.

٢ ـ وضع سياسة قومية للمعلومات تتسم بالتكامل بين المؤسسات والهياكل والربط بين الشبكات وقواعد البيانات المحققة.

٣ ـ أن نهتم بدراسات مستفيضة فى هندسة الحوار والتعامل بأسلوب عصرى وعلمى مع قضايانا، بدلا من هندسة التراشق والتعامل بوسائط تقليدية.

٤ ـ بناء مجتمع المعلومات المصرى الذى يستطيع استيعاب الجديد فى مجال المعلومات والمعارف، وذلك من خلال الآتى:

أ ـ الانتباه إلى أهمية صناعة البشر باعتبار أن البشر هم صناع التقدم. إن مهمة صناعة البشر هى غاية المهام بصفتها أهم صناعات عصر المعلومات، فليس ثراء الموارد الطبيعية هو الذى يحدد مصير الأمم، بل إن مصير الأمم رهن بإبداعات مواطنيها ومدى تفاعلهم فى مواجهة مشكلات التطور.

ب ـ الاهتمام بالتعليم باعتباره فن اقتناء المعرفة وتوصيلها وتوظيفها، والاهتمام بصناع العلم لاروائه؛ خاصة فى مجال المعلومات والموارد الطبيعية والتقويم والتصنيع.

جـ ـ تطوير نظرتنا للتربية، فالتربية هى المشكلة، وهى الحل، من حيث إنها أهم عناصر فروع الولاء والانتماء والشفافية والإخلاص وجميعها عناصر لازمة لإحراز التقدم.

د ـ عودة الروح العلمية وإحياء الثقة فى البحث العلمى، وتحفيز العلميين والمهندسين والفنيين وأساتذة الجامعات، واحترام حدود التخصص العلمى والمهنى، والتصدى لظاهرة الانتهازية العلمية، خاصة فى حقل المعلومات.

هـ ـ تشجيع الروح الابتكارية لدى النشء وحفز الهمم للمبدعين ووقف سيطرة أنصاف المتعلمين على المراكز الحساسة؛ خاصة فى مجالات المعلومات باعتبارها مجالات متخصصة، تحتاج إلى

متخصصين مدركين لأهميتها، قادرين على التعامل معها.

و ـ توفير خدمات المعلومات وتحفيز الطلب عليها لدى الطلاب والباحثين والمهندسين والمديرين والمستثمرين.

ز ـ توفير فرص التدريب والتحديث المستمر للمعلومات ونظمها وآلياتها.

٥ ـ مراجعة التشريعات القائمة بما يوفر الحماية الممكنة للمبتكرين والمنتخبين.

٦ ـ تشجيع الاستثمارات الأجنبية، خاصة العربية، فى إقامة مشروعات مشتركة مع نظيراتها المصرية، وتوفير التيسيرات لهذه الاستثمارات.

٧ ـ أن الجامعات المصرية مسئولة بشكل مباشر عن تعليم وتدريب الكوادر الوطنية، فى إطار صحيح لمفهوم المعلومات وخصائصها ونظمها. وإزاء هذه المسئولية، فقد تحتم على الجامعات أن تطور هياكلها وبرامجها ولوائحها ونظم ووسائل الدراسة بها، وأن توفق أوضاعها؛ بما يجعلها قادرة على المساهمة الإيجابية فى برامج تطوير نهضة المعلومات تدريساً وبحثاً وتدريباً. مع التركيز على مايلى:

أ - توجيه المناهج لتلائم مطالب سوق العمل فى المجتمعات المستوردة للتكنولوجيا دون اهمال مناهج التصميم والإنتاج مع التركيز على مشكلات التشغيل والصيانة والتطوير وتوطين التكنولوجيا.

ب - تطبيق نظم المعلومات ترسيخاً لمبدأ التعليم من خلال العمل والتعليم العضوى، وأن تشمل مناهج التأهيل الموضوعات التالية:

- إدخال تكنولوجيا المعلومات كوسيلة للتعليم (الطالب ـ المدرس ـ التدريس ـ الادارة ـ تطوير المناهج).
- تدريس أساسيات الذكاء الصناعى.
- تدريس نظريات المنظومات والمعارف وأساليب التفكير.
- الاهتمام بدراسات الأبعاد الاجتماعية لانتشار تكنولوجيا المعلومات.

جـ ـ الاهتمام بعلوم التكنولوجيا الجديدة والمستحدثة مثل الهندسة الوراثية

والتكنولوجيا الحيوية والمعلوماتية ـ المواد الحديثة ـ الالكترونيات ـ الطاقة الجديدة . . . إلخ.

* أن يبرز المنهج أن نقل التكنولوجيا المتقدمة من أبرز المسائل المعلقة فى حوار الشمال ـ الجنوب، إذ غالبًا ترفض دول الشمال المتقدمة تصدير التكنولوجيا رفيعة المستوى إلى دول الجنوب الفقيرة. والحقيقة، يجب أن يؤكد المنهج أهمية قيام الدول النامية بإعداد الكوادر البشرية التكنولوجية، التى تستطيع خلق تكنولوجيا متقدمة، وبذا تفلت هذه الدول من قبضة الدول المسيطرة على التكنولوجيا، وخاصة أن الواقع الفعلى ـ من خلال التعاملات بين الدول المتقدمة والدول النامية ـ يشير إلى أن الدول المتقدمة تحجب دائما التكنولوجيا التى يمكن استخدامها فى عمليات التصنيع، عن الدول النامية، ولا تصدر لها غير تكنولوجيا متخلفة، قياسًا بما هو موجود ومتوفر فى الدول المتقدمة.

* أن يبرز المنهج أن التقدم التكنولوجى الذى تحقق، قد سخر للإنسان قوة هائلة ورهيبة، لم يكن لديه معرفة بها من قبل، ولم يكن يتصورها فى أحلامه وخياله، فإذا لم يراع فى استخداماتها المبادئ الإنسانية والأخلاقية، حسب المواثيق التى تقرها التكنولوجيا الإنسانية، وأخضعها فقط لتقدير العقل والمصلحة وحدهما، ودون أخذ المبادئ فى الاعتبار، فإن الكثير من الكوارث تحقق، لا محالة. فالتكنولوجيا فى حياة الإنسان ثروة لا تقدر بثمن، بشرط أن يسيطر عليها بطريقة أخلاقية، لا أن تسيطر عليه، حتى لاتتسبب فى تعاسته إذا استخدمها فى التدمير والتلف[٢٥].

ثالثا: الحوار مع الآخر:

من منطق أن رأى اثنين أفضل من رأى فرد واحد، وأن رأى مجموعة من الأفراد أفضل من رأى اثنين، يمكن القول بأنه كلما اتسعت دائرة الحوار، وتعمقت الآراء، وازداد عدد المشاركين فيه، فإن ذلك يؤدى إلى ازدهار الديمقراطية، وتأكيد حقوق الإنسان فى المشاركة السياسية، فالحوار يثرى، والجدل يغنى، والمعرفة ليست ملكا لأحد دون غيره، والحكمة لا ينتسب إليها فرد دون سواه.

إن مقولة فولتير الشهيرة: «إننى على استعداد لأن أدفع نصف حياتى ثمناً

للدفاع عن صاحب رأى أختلف معه»، لهى تأكيد على أهمية وضرورة الحوار الموضوعى الراقى لحل المشكلات والمنازعات، أو لعرض لوجهات النظر المتباينة. فالتعامل بمقتضى الطرق الحضارية إنما يعنى، فى المقام الأول، تسوية الخلافات بالطرق السلمية، أى بطريق الحوار، وبمقتضى لغة مفهومة من طرفى النزاع، وليس عن طريق العنف.. ولكن ما يحدث الآن يختلف عن ذلك تماما، على الرغم من أننا نعيش فى عصر العولمة، ونتعامل مع الثورة الإعلامية، ونستفيد من التيسيرات غير المسبوقة فى مجال الاتصالات. إن الصعاب التى تعترض الحوار اليوم ربما زادت تعقيداً، وصعوبة، واستعصاء، اكثر من أى وقت سبق، بدلا من العكس.

وفى هذا الشأن، يؤكد **محمد سيد أحمد** أن صعوبة تخطى إشكاليات البحث عن لغة مشتركة.

> **إنما تكمن بوجه خاص حيثما تبرز مشاكل لا تكون مصدرها نزاعات بين البشر.. ذلك أن البشر بوسعهم فى النهاية أن يتحدثوا فيما بينهم، حتى عندما ينتمون إلى مجتمعات بالغة الاختلاف، كما هو الحال بين أهل قارتى أوروبا وأفريقيا.. إن الإشكالية ناطقة بالذات فيما يتعلق بـ «عدوان الإنسان على الطبيعة» من جراء ما تملكه التكنولوجيا العصرية من قوة تأثير.. فليس هناك حوار، ولا لغة مشتركة، بين عالمى التكنولوجيا والإيكولوجيا..**
>
> **حتى وقت قريب، لم تكن التكنولوجيا تلحق ضرراً كبيراً بالطبيعة.. أما الآن، فلقد أصبحت للتكنولوجيا قوة جبارة، وأضحت تعرض البناء التحتى (الإيكولوجى) لكوكبنا لعمليات عدوان مستمرة.. وقد أبرز تقرير حديث للأمم المتحدة أن السنوات القادمة سوف تشهد تهديدات للبيئة، وللتنمية البشرية، لم يسبق لها مثيل.. وسوف تحمل الموارد الطبيعية أعباء غير مسبوقة.. ذلك رغم انتشار الوعى الإيكولوجى على نحو غير مسبوق هو الآخر.. فإن الاستهلاك البشرى، وبالتالى نضوب كثير من الموارد، خاصة الموارد غير القابلة**

للتجدد، بصدد أن تتزايد بمعدل متوالية هندسية.. وليس هذا فقط بسبب زيادة عدد سكان كوكبنا من حيث الكم وحسب، وإنما أيضا بسبب زيادة استهلاك كل فرد على حدة من حيث الكيف[٢٦]:

ويستطرد محمد سيد أحمد، فيوضح إنه:

لا توجد لغة تجمع ما بين التكنولوجيا والإيكولوجيا.. بل إن التنافر بين الظاهرتين سوف يزداد عمقا مع زيادة إتقان صنع الأجهزة الآلية المسيرة ذاتيا (الروبوت)، ومع كل تقدم ينجز فى مجال تطوير «الذكاء الاصطناعى».. إن كائنات آلية مزودة بذكاء اصطناعى سوف تولد لغات خاصة بها، وأصبحت بصدد غزو مجال انفرد به الإنسان من قبل، هو مجال الذكاء!.

إذا أضفنا إلى ذلك زيادة هذه الكائنات «الآلية/ الذكية» استقلالية إزاء الإنسان، مع ما بات العلماء يجرونه من تجارب فى مجال الاستنساخ مثلا، وذلك ليس فقط للثدييات، وإنما حتى ربما، وفى مستقبل قريب، للبشر.. فإن هذه أمور لابد أن تنتهى إلى مواجهة الذكاء الإنسانى بتحد خطير، متمثل فى صور أخرى من الذكاء، قد تكون من صنع الإنسان ابتداء، ولكن هل تظل تحت هيمنته؟..

أضحى يتداعى مما سبق أن عدم وجود «لغة مشتركة ما» بين الإنسان والطبيعة قد أصبح مثيراً لخزعبلات كذلك، التى حدثت منذ أسبوع بمناسبة اصطفاف خمسة من كوكب الشمس فى خط مستقيم لمدة زمنية وجيزة.. لقد أحدث الحدث تنويّات، راحت إلى حد الاعتقاد بأن المجال المغناطيسى للأرض لابد أن يصيبه خلل، ولابد أن يترتب عليه موجات عاتية وكوارث طبيعية، من شأنها النيل من توازن كوكبنا.. ولا مفر من التسليم بأن مثل هذه الخرافات، أو التصورات المبالغ فيها، هو نتيجة من نتائج عدم وجود لغة مشتركة للأطراف المختلفة، التى أصبحت ذات أثر فعال فى تقرير مجريات الأمور.

إن قوة تكنولوجيا العصر إنما تكمن فى قدرتها على تكشف أسرار

عوالم، ظلت طوال مسيرة البشرية طى الكتمان والجهل.. أصبحنا نرتاد المتناهى الصغر والمتناهى الكبر.. عالم الذرات من ناحية، وعالم المجرات من الناحية الأخرى.. أصبح الإنسان بوسعه أن يتجاوز العالم الذى يتكشفه بفضل حواسه الخمس، وأضحى بمقدوره الاستعانة بعالم الذرة لتوسيع آفاق عالمنا المباشر، بل واختلاق «عوالم افتراضية». VIRTUAL WORLD نتلمسها بحواسنا، دون أن يكون لها وجود فى الواقع الموضوعى..

إذًا، القضية برمتها من وجهة نظر **محمد سيد أحمد**، لا تتمثل فى زيادة الصعاب التى تعترض الحوار بين البشر، بقدر ما تتمثل فى عدم وجود لغة تجمع التكنولوجيا والإيكولوجيا (البيئة)، فاضطر الإنسان ـ فى نهاية الأمر ـ لتوسيع آفاق عالمه المباشر، إلى الاستعانة بعوالم افتراضية، ليس له وجود حقيقى فى الواقع الموضوعى.

والسؤال: ماذا عن الحوار مع الآخر فى حياتنا الثقافية؟.

منذ نصف قرن مضى من الزمان، ظهرت كتابات مستنيرة فى الدين والسياسة والجنس، وسلط العقل العربى أضواء الفكر الناقد على كل ما يعترضه من مشكلات الحياة، إذ كان العقل العربى إمامًا ناطقًا فى الكتيبة الخرساء، فانتقل الفكر من الاتباع إلى الابتداع، ومن مستوى الضرورة إلى مستوى الحرية.

أما الآن، فالغوغائية الفكرية هى الأمر المألوف؛ لذا من السهل اتهام أى شخص بالكفر والارتداد والخيانة والعمالة، إذا كان له فكره التقدمى الشجاع، أو إذا كانت آراؤه تدعو لمخالفة المألوف والبحث عن الجديد والحديث. إن الديماجوجية القائمة على استثارة أكثر الغرائز بدائية وفظاظة، هى العرف السائد اليوم، الذى يحكم الفكر ويتحكم فى خطاب الحوار بين الأفراد بعضهم البعض. لذا، لانغالى القول إذا قلنا:

«أزمة الحوار فى حياتنا الثقافية جزء من أزمة الحياة العربية بعامة: نحن ـ كما قال أدونيس فى زيارته الأخيرة للقاهرة ـ بحاجة إلى مراجعة جذرية شاملة لدعائم الفكر العربى أيديولوجيا، فكرا وممارسة على السواء. دون هذه المراجعة ستظل كتابات المفكرين

دائرة فى فلك «قال يمدح..» و «قال يهجو..»، وما أبأسه من مصير لثقافة كانت يوما منارا ساطعاً للاستنارة فى علوم الدين والدنيا، وحضوراً بهياً، استوعبت ثقافات اليونان والفرس، والهنود وأضافت اليها، وعلمت أوروبا الكثير، وها هى ذى اليوم لا تكاد تتقدم خطوة حتى يردها السلفيون إلى الخلف خطوات!»[٢٧].

ولعل أزمة الحوار فى حياتنا الثقافية، تعود إلى مجموعة من النقاط، أهمها ما يلى[٢٨]:

* لا تصدر المناقشات عن منطلق موضوعى، ولكنها تأتى من تقويم شخصى، إذ لاتتم مناقشة آراء الفرد، بقدر ما تتم محاكمته لذاته، وبذا ينتفى الغرض والهدف من الحوار الموضوعى، القائم على التجرد والعقل والبعد عن المصلحة الذاتية والهوى.
* غياب ثقافة الديمقراطية عن الساحة، وعدم وجود وشائج قوية ومتينة بينها وبين أسلوب الحوار، سواء أكان ذلك فى البيت، أم فى المدرسة، أم فى الجامعة، أم فى مكان العمل، أم فى التعاملات اليومية المعتادة؛ إذ لا يتم احترام الرأى الآخر وتبادل الأفكار فى تجرد وحياد، بسبب افتقار الأفراد لثقافة الديمقراطية.
* ينبغى ألا يفسد الخلاف فى الرأى للود قضية، ولكن اليوم، يحدث عكس ذلك تماما، إذ إن الخلاف فى القول أو الفعل، يعنى عداوة لا حدود لها، وقد يؤدى إلى تربص لرد الكيل مكيالين. إن الحوار الجاد الذى تحكمه النبات الحسنة والغايات المخلصة والمقاصد النبيلة، غاب عن حياتنا الثقافية.
* الاهتمام برصانة اللغة ورقى الأسلوب وجلال العبارة فى أسلوب الخطاب الوطنى المعاصر، دون أن تبدو الأفكار محددة والأطروحات كاملة والرؤى شاملة. وعندما تضيع الحقائق فى غمار روعة الأسلوب، فإن الخطاب الوطنى لا يتماشى مع السياق الجديد للخطاب العالمى المعاصر، الذى يناقش أية قضية من منظور يسمح بالحديث عن الظروف الداخلية والخارجية على السواء، على أساس أن الانفتاح وسقوط الحواجز بات حقيقة قائمة.

والحقيقة، إن النقاط آنفة الذكر، التى أبرزت حقيقة أزمة الحوار فى حياتنا الثقافية، تظهر بصورة سافرة.

«عندما يحاول المثقفون فرض آراءهم وتسفيه كل رأى يخالفهم، فإن ذلك يمثل أسوأ أنواع التسلط والإرهاب التى يمكن أن تمارسها فئة مهما كانت أهميتها ضد المجتمع.. إن الحرية الحقيقية أن يكون من حقى أن أختلف مع السلطة.. أو مع فئات أخرى من المجتمع أو آراء أخرى يؤمن بها غيرى، دون أن يفرض أى طرف منها وصاية على فكرى وعقلى.. وإذا حاولت فئة أن تفرض فكرها على الآخرين، سواء كان ذلك تحت راية الدين.. أو التنوير.. أو أى مسميات أخرى.. فإن ذلك يدخل فى نطاق الإرهاب الفكرى.. ولا يدخل فى نطاق الحرية..

من الخطأ أن يتصور البعض أن الحكمة لم تعرف أحداً غيره.. وأنه الوحيد الذى منحته السماء حق المعرفة، أو أن لديه فرماناً بشرياً باحتكار الفكر.. إن مثل هؤلاء يمثلون أكبر لعنة على عقول الأمة.

من هنا وصلت بنا الأحوال إلى درجة من درجات التشنج، ورفض الرأى الآخر عندما تصور البعض أنهم فقط أصحاب الحق فى إبداء آرائهم، وأن كل من يخالفهم متآمر أو جاهل أو سفيه.. وكان هذا منتهى التسيب فى لغة الحوار..

وإذا كان الرفض للآخر من أخطر الأمراض التى أصابت عقول بعض المثقفين عندنا.. فقد ترتب على ذلك دخول قاموس هابط إلى لغة الحوار.. وإذا كان من الممكن أن نجد مبررات للغة الهابطة فى الشارع، فإنه من الصعب جداً قبولها بين فئة من الناس، يمثلون عقل الأمة وضميرها، وهم المثقفون.

وأمام هذا وجدنا أنفسنا فجأة أمام فريقين فقط.. وكل فريق منهما يرفض الآخر رفضاً مطلقاً.. وأصبح على كل واحد منا أن يختار موقفه بين طرفى النقيض: إما هنا أو هناك وكلاهما متوتر.. ومتشنج

وعصبى. والأخطر من ذلك أننا أمام أطراف مواقف تفتقد الموضوعية.. والحكمة والحياد.. ولهذا لم يكن غريبا أن يسيطر منطق الاستقطاب على حياتنا الثقافية»[٢٩].

ويتمثل دور المنهج فى إكساب المتعلم أصول وقواعد الحوار المنتج السليم، فى الآتى:

* تأكيد الشروط التى تساعد على إيجاد لغة حوار مشترك بين المتعلمين بعضهم البعض، وبينهم وبين المعلمين. وأهم هذه الشروط[٣٠]:

١- توافر مرجعية يعترف بها كل من المتحاورين، وهذه المرجعية قد تكون قوانين العقل، أو مبادئ الدين، أو سلطة التقاليد، أو تحقيق المصلحة.

٢- وجود حكم يلتزم كل من المتحاورين بطاعة أوامره وتنفيذ ملاحظاته. ومن المعروف أن هذا الحكم هو الذى يقوم بدور التنظيم والفصل فى أثناء المحاورة، وله الحق فى إنهائها عندما تحيد عن أهدافها.

٣- إعطاء الفرص المتكافئة لكل الأطراف، سواء فى الوقت المحدد للحديث أو فى إبداء الملاحظات والتعقيب.

٤- استغلال المحاور للوقت المخصص له، وعدم إضاعته فى مقدمات غير ضرورية، أو استطراد غير مطلوب، وأن يتميز حديثه بالتركيز، وترتيب المعلومات، والتصريح بالنتيجة التى يريد الوصول إليها.

٥- ضرورة الإصغاء الكامل عندما يتحدث الطرف الآخر، وعدم ملاحقته بالموافقة، أو مقاطعته بالمخالفة. وهذا يعنى تسجيل الملاحظات عليه، وإبداءها عندما تعطى له الكلمة.

٦- احترام شخص المحاور، وعدم الإساءة إليه بألفاظ أو بعارات غير لائقة، وكذلك عدم الاستهزاء به حتى ولو بالتلميحات والنظرات!

٧- أن يكون لدى أطراف الحوار الاستعداد لسماع وجهات النظر الأخرى، والاعتراف بالحق عند ظهوره، ولاشك أن هذا الشرط يتطلب «شجاعة أدبية» ينبغى أن تكون من أخلاقيات المحاور الحقيقى.

* أن يتيح المنهج الفرص المناسبة ليتعلم المتعلمين الحوار، وذلك عن طريق:
- أن يعبر المتعلم عن نفسه، دون خوف أو رهبة.
- أن يقول المتعلم أنه لم يفهم هذه النقطة أو تلك، دون حرج.
- أن تحتوى المادة العلمية وجهات نظر متعددة، ويكون من حق أى متعلم تبنى أية واحدة منها.
- أن يعلن المتعلم رأية بصراحة فى كل أو بعض ما يتعلمه.
- أن يحترم المعلم رأى المتعلم، ولا يقابله بالسخرية أو الاهتزاء، سواء كان هذا الرأى يخص سلوكيات المتعلم نفسه، أم يرتبط بنجاحة الدراسى.
- أن تتضمن الاختبارات أو الامتحانات سؤال المتعلم عن رأيه فى فحوى وقضايا هذه الاختبارات أو الامتحانات.
- أن يمارس المتعلم الأنشطة التى تساعده فى التعبير عن نفسه، كالإذاعة المدرسية، وصحافة الحائط، والمسرحيات، والندوات، والمناظرات، . . إلخ.
- أن يناقش المعلم المتعلم فى أسلوب العمل الذى يتبعه فى التدريس، وأن يستمع بانتباه لما يقوله المتعلم فى هذا الشأن، على أن يتم الحوار بينهما على أساس النقد الموضوعى.
- أن تتوافر وسائل الاتصال بين إدارة المدرسة والمعلمين والمتعلمين بسهولة ويسر.
- أن تتم مناقشة التعليمات الخاصة بإدارة الصف أو إدارة المدرسة مع المتعلم، قبل تعميمها وتطبيقها.
- أن يستمع المعلم لشكاوى المتعلم، سواء أكانت شفهية أم مكتوبة.
- أن ينقى المعلم لغة الخطاب بينه وبين زملائه، وبينه وبين المتعلمين، بحيث ينتقى ألفاظه بدقة، ويختار كلماته بطريقة مهذبة.

- أن يساعد المعلم المتعلم على إتقان فن السؤال والتساؤل.
- أن تقيم إدارة المدرسة ندوات الحوار المتعدد الآراء، مع تطبيق الضوابط التى تجعل هذه الندوات متطورة، وبناءة، وتنتهى إلى نتيجة محددة، بشرط إتاحة الفرص لتشترك نسبة كبيرة من المتعلمين فيها.
- أن يسمح للمتعلم أن يجلس أمام المعلم فى حجرة المدرسين، عندما يقصده للاستفسار أو السؤال عن أى موضوع.

وختاما لهذا الموضوع، تجدر الإشارة إلى أهمية تضافر «جهود التعليم والإعلام والثقافة لغرس قيمة قبول الآخر فى الوجدان من الصغر وتدعيمها عبر سنوات التكوين.. سواء كان الآخر هو الآخر من وجهة نظر الجنس (العرق) أو الثقافة أو الدين أو اللون أو العادات أو التوجهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. إلى آخره. ويزيد من ضرورة غرس قيمة قبول الآخر أن البشرية تدخل القرن الحادى والعشرين بمعطيات جديدة، من أبرزها سقوط الجدران بين الدول والشعوب وانتقال التجارة ووسائل الإعلام بين الدول والشعوب بسهولة كبيرة ودون موانع عديدة، هو ما ينبئ بأن (التعامل مع الآخرين) سياسيًا واقتصاديًا وثقافيا سيكون فى المستقبل أكبر وأوسع وأعرض مما كان فى الماضى»[٣١].

رابعا: قدرات الإبداع والإبتكار:

ذكر عالم الاجتماع الانجليزى **أنطونى جيدنجز** فى كتابه (نتائج الحداثة) أن مفهوم التقدم وصلاحيته يقوم على مجموعة من الدعائم، هى: «العقلانية والفردية والوضعية فى ممارسة البحث العلمى الاجتماعى، والاعتماد على العلم والتكنولوجيا لإشباع الحاجات الأساسية للجماهير،وتبنى نظرة خطية Linear للتقدم الإنسانى، على أساس أن التاريخ يتقدم من مرحلة إلى أخرى».

وبعد الحرب العالمية الثانية، وجه النقد للمفهوم السابق، على أساس أن النتيجة المباشرة لهذه الحرب كانت تدمير عشرات المدن العامرة، ومصرع ملايين البشر، وبالتالى انتفت فكرة التقدم تاريخيا، وظهر مفهوم التنمية. ولكن بسبب انقسام العالم بعد الحرب العالمية الثانية إلى كتلتين أو معسكرين، أحدهما غربى

والآخر شرقى، ظهر مفهومان للتنمية، أحدهما رأسمالى والآخر اشتراكى، وأصبح لكل منهما منظوره للتأثير والتوجيه.

وبانهيار المعسكر الشرقى، وانتهاء الصراع بين الرأسمالية والشيوعية، ظهرت فى بدايات القرن الحادى والعشرين، «نظرية سياسية واقتصادية واجتماعية جديدة على مستوى العالم، تنطلق من مبدأ فلسفى مؤداه أن الحقيقة نسبية وليست مطلقة. . . .

وفى عصر مابعد الحداثة، هناك نزوع قوى إلى قبول المزج بين النماذج الاقتصادية المتباينة فى إطار تركيب جديد، يتيح الفرصة للفرد، باعتباره فرداً لإطلاق عقال ملكاته ومواهبه فى إطار من الخدمات الأساسية، التى تقدمها الدولة فى مجالات التعليم والصحة، ويسمح للمجتمع أيضا أن ينشئ من المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية مايحقق المصلحة العامة، حتى لو تعارض ذلك مع بعض المصالح الفردية الضيقة».

ونتيجة لما تقدم ظهرت «حركة (الطريق الثالث)، التى تسعى للتأليف الخلاق بين حركية الرأسمالية وإطلاق العنان للحافز الفردى، ولكن مع مراعاة اعتبارات العدالة الاجتماعية فى الوقت نفسه».

ولقد أدى ماتقدم إلى إعادة النظر فى مفاهيم التنمية ذاتها، إذ أصبحت: «توسيع الخيارات أمام الناس فى فرص الحياة، وتقديم بدائل متعددة، تسمح لكل فرد ـ وفق تعليمه ومؤهلاته وقدراته وإمكانياته ـ أن يحقق ذاته فى إطار تحقق تكافؤ الفرص ما أمكن ذلك».

فى ضوء ماتقدم، ظهر مفهوم التقدم مرة أخرى، على أن «المؤشرات الكمية والكيفية للتنمية مهما بلغت دقتها، لاتصلح لقياس التحسن فى الوضع الإنسانى». ومن هنا أصبحت الحاجة ماسة إلى ابتداع مؤشرات جديدة كمية ونوعية لقياس التقدم فى الوضع الإنسانى، تتمثل فى الفرد والأسرة والمجتمعات المحلية، مع الأخذ فى الاعتبار الجوانب المادية والروحية على السواء[٣٢].

فى ضوء الاستطراد الطويل السابق، نقول ان الإنسان بات الآن محور الاهتمام، إذ تتمركز حوله السبل التى يستطيع عن طريقها أن يحقق ذاته، بشرط أن يساعده فى ذلك تعليمه ومؤهلاته وقدارته وإمكاناته.

من هنا، يمكن القول بدرجة كبيرة من الثقة أن قدرات الإنسان الإبداعية والابتكارية، لها دورها المهم فى تحقيق ذاتية الإنسان الحر، وذلك يتوافق مع سمات الإنسان الجديد فى عصر العولمة، الذى أصبح له الحق الكامل فى التعبير عن أفكاره وآرائه ومشاعره ونظرته ـ ليس إلى المجتمع الذى يعيش فيه فقط، بل إلى الإنسانية جمعاء ـ بالصورة التى يراها مناسبة وكفيلة بتوصيل فكره ومكنونات نفسه للآخرين.

والحقيقة، «فى خضم تطورات العصر الجديد الذى نعيشه.. عصر ثورة المعلومات.. وثورة التكنولوجيا.. وثورة الاتصالات.. وأيضا مايسمى بثورة التطلعات.. هذا التطور الذى يتسم بأن ما كان يتطلب آلاف أو مئات السنين لإحداث التغيرات العميقة فى المجتمعات البشرية، لم يعد يتطلب أكثر من عشرات السنين. وما تفرضه هذه التغيرات السريعة على إنسان العصر من صعوبات بالغة.. أضف إلى ذلك الظاهرة الجديدة التى يسمونها الآن بظاهرة المواطن العالمى الذى تشغله الاهتمامات نفسها ويخضع للمؤشرات نفسها، بعد أن بدأت الحواجز والقيود بين المجتمعات فى الزوال، وتكاد الحدود السياسية والإقليمية والاقتصادية تتوارى، وما استتبع ذلك من تأثيرات تأثرت بها معظم.. بل كل المجتمعات فى أرجاء المعمورة»[٣٣]، يكون من المهم بمكانة رعاية المبدعين والمبتكرين، لأنهم وحدهم، ودون غيرهم، الذين يستطيعون فهم طبيعة التغيرات والتغييرات الذى أفرزها عصر العولمة، ويعلنون عنها، ويتفاعلون معها، ويضيفون إليها، ويستخدموها فى مصلحة البشر، من خلال أعمال ذكية، متميزة، تقدمية، غير نمطية، عصرية.

والسؤال: إذا كان التقدم الإنسانى والمادى يعتمدان على الإبداع والابتكار، على أساس أنهما يمثلان آلية عصر العولمة الفاعلة، فما علاقتهما بالحرية؟!.

يقدم لنا **جابر عصفور** إجابة رائعة عن السؤال السابق، فيقول[٣٤]:

> **إن حرية التفكير والإبداع هى جزء لا يتجزأ من حرية الإنسان الاعتقادية والسياسية والاجتماعية. وهى مسؤولية عقلية ودينية وأخلاقية واجتماعية وسياسية. مسؤولية عقلية لكل من يرى فى**

الابتكار والابتداع ـ لا التقليد والاتباع ـ سبيلا لوعود المستقبل لا وعيده، ولكل من لايعرف بداية للابتكار أو الابتداع إلا بوضع العقل بكل مدركاته موضع المساءلة. والمسؤولية العقلية للحرية التزام باحترام العقل الذى يرفض الخرافة، ولا يقبل التقليد، ولا يسلم قياده إلا إلى الرغبة المتلهبة فى اكتساب المزيد من معرفة كل ما يظل فى حاجة دائمة إلى الكشف، وكل ما لا يقنع بالإجابة السهلة أو الحلول الجاهزة. ولذلك فهى مسؤولية احترام الاجتهاد، والقبول بحتمية تعدده، وتباين مساراته ومناهجه وأساليبه وأدواته ونسبية نتائجه، ومن ثم النظر إلى حق الاختلاف فى الفكر وحق التجريب فى الإبداع، بوصفهما شرطا للإضافة الكيفية، التى يغتنى بها معنى التقدم فى التاريخ وبالتاريخ.

وحرية التفكير والإبداع مسؤولية دينية لكل من يؤمن بالأديان السماوية التى لا تعرف معنى للثواب أو العقاب إلا على أساس من التسليم بحرية الإنسان فى اختياره الاعتقادى، الذى يمارس به مسؤوليته الخاصة، ويتحمل نتائجه فى اختلافه عن بقية أفراد مجتمعه، أو اختلافه مع حراس هذا المجتمع، فيحدد باختياره مصيره فى الحياة الدنيا والآخرة. والمسؤولية الدينية للحرية هى الوجه الآخر من المسؤولية الأخلاقية، خصوصا فى الدائرة التى يفرض بها الالتزام بالحرية نفسه على كل من يؤمن بدوره فى الارتقاء بالإنسان، وتخليصه من وهاد الضرورة وشروطها اللاأخلاقية، وممارسة هذا الدور فى شجاعة وإصرار، حتى لو اصطدم بأخلاق الضرورة السائدة.

وحرية التفكير والإبداع مسؤولية اجتماعية لكل ساع إلى الانفتاح بمجتمعه على الدنيا الواسعة، مؤكدا مبدأ التنوع الخلاق فى مجتمعه، متسعا بمبدأ الحوار بين الطوائف والفئات والتيارات، مؤصلا قيم التسامح الاجتماعى، التى تؤسس لقبول المغايرة وحق

ممارسة الاختلاف، كما تسهم فى إشاعة حقوق المساواة التى تنقض كل ألوان التمييز العرقى أو الجنسى أو الطائفى أو الطبقى أو الاعتقادى. والوجه الاجتماعى من مسؤولية الحرية هو اللازمة المنطقية لوجهها السياسى، خصوصا فى وعى كل من يرى فى التسلط السياسى والديكتاتورية الحزبية شكلا من أشكال الضرورة، وعقبة إنسانية لابد من مجاوزتها، تحقيقًا لقيم المشاركة والتعددية، وتأكيداً لحضور معانى الاستقلال لا التبعية التى هى الوجه الآخر من الاتباع.

وأخيرا، فالحرية مسؤولية إبداعية ما ظل المبدع حالماً بأن يكون الذى لم يكنه، أو يكتب الذى لم يكتبه، فحريته شرط استقلاله الذى لا يجعل منه صورة مكررة أو نسخة كربونية أو محاكاة لإبداعات سابقة، صنعها هو أو صنعها غيره. وأولى علامات الحرية الإبداعية هى المجاوزة المستمرة، والمراجعة الدائمة لتقنيات الإبداع وأدوات إنتاجه وعلاقات إنتاجه، فضلاً عن علاقات استقباله، وذلك بما يضع كل ما يدخل فى دائرة الإبداع موضع المساءلة الدائمة المستمرة التى لا تتوقف عند حد، فالإبداع مساءلة حرة، غير مشروطة إلا بأهداف الإبداع الذاتية، وهى الارتقاء الدائم بالإنسان، والتمكين له فى عالم الابتكار الخلاق الذى يصنعه الإنسان على عينه. ولذلك فالإبداع تمرد على الضرورة بالحرية، احتجاج على الظلم بحلم العدل، رفض للتخلف برؤيا التقدم، نبذ للثابت بالإبحار فى المتغير، استبدال للنسبى بالمطلق، المتحرك بالساكن، السؤال بالجواب، الشك بالتصديق، مساءلة الذات التى تنقسم على نفسها لتغدو فاعلا للإبداع وموضوعا له. ولا حرية فى الإبداع لمن لا يعرف تنوير أدوات توصيله، أو يقنع بتقبل تقنيات الفنون والآن تقبل المذعن التابع.

ويتفق السيد يسين مع جابر عصفور فى أن مقياس الحرية الثقافية هو:

«المؤشر الذى يبرز ما إذا كان مجتمع ما يحترم ويسمح لحرية التفكير والتعبير أن تأخذ مداها، (إذ) إن مؤشرات الإبداع تظهر ما إذا كان المجتمع يشجع بطريقة فعالة الناس لكى يعبروا عن أنفسهم بطريقة إبداعية وتجديدية، وبالتالى يسهمون فى تقدم المجتمع..... غير أنه من الأهمية بمكان أن نلتفت إلى أن الإبداع ظاهرة معقدة وليست وحيدة البعد. ذلك أن النواتج الإبداعية قد تكون اجتماعية مثلما قد تكون فردية، فالإبداع يمكن أن يكون ظاهرة جماعية، بالإضافة إلى كونه ظاهرة فردية»(٣٥).

وعندما نتحدث عن دور التربية والتعليم فى إعداد الإنسان الجديد، الذى يمتلك قدرات إبداعية وإبتكارية، نقول:

إن النظام التعليمى فى مصر يكفل حق كل إنسان فى التعليم، وذلك حسب ما جاء فى الدستور. وإذا كان هذا المبدأ فى فحواه إنسانياً بالدرجة الأولى، وعلى طول الخط، فإن بعض نتائجه يمكن أن تكون غير إنسانية تماماً، إذ فى زحمة الأحداث التى يسببها الكم الرهيب من أعداد المتعلمين، يمكن أن يتساقط على الطريق عشرات من الموهوبين، الذين يمتلكون قدرات إبداعية وابتكارية عالية ورفيعة المستوى، والذين لو تم اكتشافهم فى الوقت المناسب لكان شأنهم مختلفاً وإسهاماتهم بغير حدود.

وعليه، فإن رعاية الموهوبين من ذوى القدرات الإبداعية والابتكارية، مهمة قومية ضرورية ولازمة، وليست مجرد استكمال لشكل عام ومظهرى، وهو الإدعاء بأننا نرعى الموهوبين.

إذاً، الخطوة الأولى هى تحديد المبدعين والمبتكرين منذ نعومة أظافرهم، أى فى مرحلة الحضانة، ووضعهم تحت المجهر، من بداية الطريق حتى نهايته، من خلال تجمعات خاصه بهم.

وفى هذا الصدد يقول رجب البنا الآتى:

«والموهبة يمكن أن تضيع فى الزحام، ونفقدها بالإهمال وعدم التقدير، كما يمكن أن توجه توجيهاً خاطئاً فتنحرف، ومن الممكن أيضا اكتشافها مبكراً، ورعايتها رعاية سليمة وتعهدها بالصقل والتشجيع، وإعطائها فرص التقدم والنمو».

أيضا، يشير إلى «أن الدول الكبرى تقدمت؛ لأنها أنشأت مراكز لرعاية الموهوبين، يلتحق بها الموهوبون، فيجدون خبراء فى التربية وفى فروع التخصص فيتولون رعايتهم رعاية شخصية وخاصة على أسس فنية وعلمية، تساعدهم على النضج والإبداع»[٣٦].

وتوجد وجهة نظر أخرى منبثقة من الفكرة السابقة، وهى:

«وإن التعليم قادر بأن ينمى هذه القدرات ويفجر الطاقات النووية فى كل فرد، عن طريق مركز دراسات للتأليف والبحث والترجمة، يدرس الأساليب التربوية والإدارية لجعل التعليم مؤثراً فى الجوانب النفسية والاجتماعية والسلوكية للطالب وللمجتمع، ويجب أن يعطى صلاحيات واسعة فى النقد والتحليل والقرار، بعد أن قبع الطلاب سنوات أسرى للصخب المعرفى والأسلوب الإدارى التربوى التقليدى.

وفى الوقت نفسه لا مانع من إنشاء معاهد ومدارس يغلب عليها طابع إبداعى، مثلا (معهد المتفوقين فى الرياضيات) أو (نوادى الشعر والقصة). ولكن يتم ذلك باختيار الملتحق»[٣٧].

وبالنسبة للمنهج التربوى فى إعداد الإنسان الجديد، القادر على المواجهة والتحدى لظروف ومتغيرات العصر، بما يمتلكه من قدرات رفيعة المستوى، فيتمثل دوره فى إكساب هذا الإنسان القدرات الإبداعية والابتكارية، فى الآتى:

* أن يبرز المنهج أن الشق المادى فى أية حضارة متقدمة، «هو ثمرة طبيعية للشق غير المادى (أى الثقافى) لهذه الحضارة. فقد بدأت الحضارة التى يسميها

البعض اليوم بالحضارة الغربية بالفكر والفنون والآداب، وعندما خلقت مناخًا عامًا إيجابيًا وخلاقًا يسمح بتفتق الإبداع، أنطلق (العلم التطبيقى) فى إبداعاته المتوالية»[٣٨]. ويجب ألا يقتصر دور المنهج على إبراز أهمية الجانب الثقافى فقط، بل يجب عليه تأكيد هذا الدور من خلال موضوعات ومواقف بعينها، يستطيع عن طريقها أن يكتسب المتعلم الملكات والقدرات التى تساعده فى الإبداع والابتكار.

* أن يبرز المنهج أن عناصر العمل الإبداعى والابتكارى تستمد جذورها من الأحداث التى يموج بها المجتمع، ومن المتطلبات الأساسية والضرورية للفرد، لذا فإن المبدع أو المبتكر لا ينعزل عن المجتمع، بشرط ألا يتحقق ذلك عن طريق أية ضغوط سياسية أو اقتصادية لتوجيه نشاطه الفكرى والذهنى، الذى يسهم فى ظهور أعماله الإبداعية والابتكارية الرائعة.

* أن يتضمن المنهج حيزًا واسعًا من الرياضيات وعلوم الكمبيوتر، إذ إنهما من الأساسيات التى تسهم فى إنماء قدرات الإبداع والابتكار، لما لهما من سمات وصفات مادية ومعنوية فى الوقت نفسه. وفى هذا الصدد، يقول **ميشيل هولبيك** Michel Houellebecq ـ عندما سئل عن تصوره للقرن الحادى والعشرين ـ «يجب أن نؤقلم العقل الإنسانى على الرياضيات، أن ندخل به ربما الشرائح المبرمجة؛ إذ إن حقيقة العالم ذات طبيعة رياضية، ولأن القلة هم الذين يعملون لذلك حسابا فهم فقط القادرون على فهم العالم، لايبدو الأمر خطيرًا. إلا أنه كذلك. إن النجاح الذى تحققه الطوائف والشيع يزداد، بسبب العجز عن فهم الوصف الذى يقدمه العلماء عن العالم»[٣٩].

* أيضا، أن يتضمن المنهج عديدًا من الموضوعات ذات الصبغة الفنية والفلسفية والأدبية، التى تعكس التاريخ الثقافى والتراث الفكرى، والتى تمثل القيم والسلوكيات والأخلاقيات والمثل العليا، والتى تتيح للمتعلم مساحة من حرية الانطلاق فى التخيل، واستخدام أساليب التعبير التى تعتمد أساسًا على التشبيهات والاستعارات والمجازات واللجوء إلى الرمزية. والحقيقة، إذا

كانت الرياضيات وعلوم الكمبيوتر والعلوم الطبيعية تخاطب العقل بدرجة كبيرة، فإن الآداب والفلسفة والفنون تخاطب الأحاسيس والمشاعر، بدرجة كبيرة أيضا، مع الأخذ فى الاعتبار أن كلاهما لا ينفصل عن الآخر، ولا تقوم لأحدهما قائمة إذا انعزل عن الآخر، فالإنسان كل متكامل، إذ إن العقل والأحاسيس والمشاعر، تنصهر جميعا فى بوتقة واحدة، لتكون الإنسان، وهو أعظم ما خلقه الله.

* أن يتخلص المنهج من المواد الدراسية، التى يمكن أن يكون مجالها هو تاريخ العلوم، وبالتالى يجب الإهتمام بالنوع وليس بالكم، على أن تراعى الأساسيات التى تساعد على دراسة علوم المستقبل.

* أن يتضمن المنهج موقعاً للتقنيات التربوية الحديثة، وخاصة أن العلم والتكنولوجيا باتا الآن من مستلزمات وضروريات عصر العولمة، وأن كلاهما يسيران متلازمين متواكبين، وإن كانت النظرية تظهر أولا، ثم يعقب ذلك تطبيقاتها العملية. إن فهم طبيعة وظروف وتحديات العصر فى وقتنا هذا، لا يمكن تحقيقه دون العلم والتكنولوجيا، وخاصة بعد الانفجار المعلوماتى، وظهور مجتمع المعرفة.

* أن يتم تدريس موضوعات المنهج على أسس حديثة، تقوم على أساس المبدأ القديم الجديد، وهو «أن يعلم الفرد نفسه بنفسه، وأن يصل إلى مصدر المعلومة بنفسه»، بشرط أن يتحقق المبدأ السابق بتقنيات حديثة تناسب العصر، وخاصة بعد سهولة ويسر الاتصال بين الأفراد بعضهم البعض عن طريق إنترنت.

* أن يأخذ المنهج فى اعتباره، ضرورة أن تكون للقراءة مساحة عريضة ضمن الموضوعات التى يتضمنها، لدور القراءة المهم فى نمو الإبداع، إذ إنها تسهم فى تنشيط العقل واستثارة الخيال[٤٠]، مع مراعاة أن القراءة لا تقتصر فقط على موضوعات اللغة العربية فقط، بل تتضمن موضوعات بعينها فى جميع المواد الدراسية، بلا استثناء.

خامسا: الاستفادة من العولمة:

يدفع فضول الإنسان إلى طرح عديد من التساؤلات المتنوعة، حيث تتركز هذه التساؤلات مرة على مشكلات الحياة الاجتماعية، «وفى مرة أخرى تنصب على السياسة، كذلك قد تكون هذه التساؤلات حول ما توصل إليه العلم الحديث وما حققته التكنولوجيا من اختراعات»[٤١].

وقد يحقق الإنسان من استفساراته عائدًا ماديًا، وقد يكون ذلك لإشباع فضوله أو تحقيقًا لذاته أو خوفًا من مجهول. وفى جميع الأحوال، يستفيد الإنسان من تساؤلاته التى يطرحها، سواء أكان ذلك فى صورة عائد مادى ملموس، أم فى صورة ناتج معنوى، يكون الإنسان فى أشد الحاجة إليه.

وبالنسبة للعولمة كظاهرة، فرضت نفسها على الفرد، سواء أكان مواطنًا فى دولة متقدمة، أم مواطنًا فى دولة نامية، يمكن أن يكون لها وقع السحر على الإنسان ليطرح التساؤل: ما المقصود بالعولمة؟، حيث يفجر هذا التساؤل فضول الإنسان، فيجر التساؤل السابق العديد من التساؤلات، مثل: ما الجذور التاريخية للعولمة؟، وهل العولمة تلغى الذاتية الثقافية لكل دولة؟، ومن الذى يستفيد من العولمة؟، وما موقف الدول النامية من العولمة؟، وما موقف الدول الغنية من العولمة؟، وهل الدول الفقيرة سوف تستفيد من العولمة؟، وهل الدول الغنية على استعداد لمساعدة الدول الفقيرة مساعدة حقيقية فى ظل نظام العولمة؟ وما أبعاد العولمة؟، أهى أبعاد اقتصادية فقط؟، وهل للعولمة جوانب أخرى غير الاقتصاد، بحيث تشمل جوانب ثقافية وسياسية وإعلامية واجتماعية وفكرية؟... إلخ.

إن التساؤلات السابقة، تدفعنا لطرح السؤال المهم التالى:

كيف يمكن الاستفادة من العولمة فى صنع الإنسان الجديد؟

الحقيقة، أنه يمكن الاستفادة من العولمة فى صنع الإنسان الجديد، من خلال الإطلالة على الإنجازات العظيمة التى تحققت بالفعل، والمتوقع تحقيقها فى بدايات القرن الحادى والعشرين؛ إذ إن هذه الإنجازات تسهم فى تكوين العقلية القوية الواعدة، والمتأملة فيما يحدث حولها، والمتوقعة لما سوف يحدث فى المستقبل

القريب، وبذا لا يكون صاحب هذه العقلية أحادى التفكير، ولا يحصر فكره فى بعد أو جانب واحد، دون غيره، ولا يتعداه.

ففى عصر العولمة، حيث تلاحمت الحدود، وحيث غيرت وبدلت ثورة الاتصالات والمعلومات عديداً من أوجه الحضارة، التى كانت مألوفة منذ سنوات قليلة مضت، يكون من المهم أن ينفتح الفرد على العالم من حوله، ليدرك حدود الممكن والمستطاع، وليحاول التغلب على المعضلات التى مازالت قائمة، لمحاولة فك ألغازها.

إن العولمة تحمل لنا عديداً من المزايا، وتصدر لنا فى الوقت نفسه، الكثير من الصعوبات، وعلى الإنسان الجديد أن يستفيد من المزايا والصعوبات معا، إذ إن هذا قدره المحتوم، حيث لا يوجد مكان الآن لضعاف العقول، أو غير المبدعين والمبتكرين.

ولتوضيح ما تقدم، ،نذكر المثالين التاليين[٤٢]:

١- الدفيئة.. أخطر ظواهر تلوث البيئة.

٢- الإنترنت تقفز إلى الفضاء.

وفيما يلى توضيح مختصر للموضوعين السابقين:

الدفيئة.. أخطر ظواهر تلوث البيئة:

الأعاصير والسيول والفيضانات ونحر الشواطئ والتصحر، كوارث طبيعية، «سببها تصاعد كميات ضخمة من الغازات التى ترفع درجة حرارة الغلاف الجوى للأرض. ذلك أن زيادة دولاب الصناعة فى كل القارات، يقذف بآلاف الأطنان من الغازات التى تسببت فى رفع درجة الحرارة»، وذلك يمثل بعض الصعوبات التى يواجهها الفرد فى عصر العولمة.

إن العدوان على الطبيعة، يمارسه الإنسان العادى فى حياته اليومية، دون أن يفطن لآثاره المدمرة. أما الإنسان الجديد، ذو العقلية القوية الواعدة، يدرك

مدى خطورة زيادة الرفاهية، والإغراق فى مظاهر الترف والاستمتاع بإسراف، على أساس أن هذه الأمور من العوامل المباشرة فى تلوث البيئة، وأحيانا تدميرها.

ولا يعنى ما تقدم، أن الإنسان الجديد ينأى عن استخدام المستحدثات التكنولوجية، حرصًا منه على سلامة البيئة وأمانها، بقدر ما يعنى استخدامه العاقل لمصادر الرفاهية، بطريقة متوازنة تحقق حاجته، وتحفظ البيئة من التلوث، وبذا يستفيد من الإنجازات التى تحققت فى عصر العولمة.

الإنترنت تقفز إلى الفضاء:

تشكلت شبكة إنترنت العنكبوتية لربط الحواسب بين الشركات والمؤسسات، وامتدت هذه الشبكة بين القارات، لتنقل المعلومات فى شيوع لاتحده كثير من القيود، وإن كان قراصنة إنترنت يستطيعون اقتحام أى موقع، ومعرفة أسراره، وأحيانا تدميره تماما، وذلك يمثل مشكلة حقيقية للفرد. وفى المقابل، «توفر شبكة إنترنت حاليًا نشر (١٥٠٠) صحيفة و (٣٧٠٠) نشرة دورية و (٥٠٠٠٠) كتاب بما يعنى أنها بذرة للصحافة الإلكترونية، وإيذانًا بانتهاء عرش الورق، الذى يحمل المعلومات والدروس، والطباعة بالأحبار.

ومن المتوقع أنه بعد أعوام قليلة، ستهتز ركائز التعليم بالتلقين فى المدارس والجامعات، لأن الطالب يمكن أن يتلقى العلم، وهو فى منزله عن بعد بضغط بعض الأزرار. ويمكن أن يتبادل الحوار مع متخصصين، ويطرح مايشاء من أسئلة ليجد الإجابات على الشاشات، فيما يطلق عليه التعليم التفاعلى»[٤٣].

وتمتد فاعليات الإنترنت، لتقفز إلى الفضاء، بما يحقق متطلبات عصر العولمة، وبما يسهم فى تحقيق إنجازاتها، فى الوقت نفسه. ويكون المستفيد الأول، مما تحققه فاعليات الإنترنت، هو الإنسان الجديد ذاته، الذى يستطيع أن يتعامل بسهولة ويسر مع الكمبيوتر والإنترنت. إن الأمية فى استخدامات الكمبيوتر والإنترنت تفقد الإنسان العادى الميزات والمميزات، التى ينتفع بهما الإنسان الجديد، بتعامله مع الكمبيوتر والإنترنت، إذ يكون الإنسان العادى محدودًا

بظروف المكان الموجود فيه فقط، بينما يسبح الإنسان الجديد فى سماء المعرفة الجديدة والمتجددة فى أى مكان، كما يمكنه الاتصال بالآخرين فى التو واللحظة بالآخرين، فيشكل بذلك شبكة من المعارف الجدد.

ولتأكيد ما ذهبنا إليه بالنسبة للاستفادة من عصر العولمة، فإن الإنترنت أسهمت فى إدخال العالم أجمع فى عقل الإنسان الجديد، وساعدت على تعلم اللغة الإنجليزية فى يوم واحد، حسب رؤية **جان رود Jean Rouaud**، الذى يرى أن هذا اليوم سيكون رائعا بالنسبة للإنسان(٤٤).

لقد أدت إنترنت إلى إلغاء المسافات، وفى سبيلها لتوليد سوق واحدة، ولصنع إقتصاد واحد. ونتيجة لذلك «ظهرت تكنولوجيات جديدة وصناعات استراتيجية جديدة لم يعرفها العصر الصناعى. كما يتم بناء النظام العالمى حول شبكة من الحاسبات وأجهزة الاتصال مفتوحة لمشاركة الجميع (سيصل عدد مستخدمى الإنترنت إلى مليار بحلول عام ٢٠٠٥)»(٤٥).

والسؤال: ماذا عن دور المنهج التربوى فى الاستفادة من العولمة لبناء وتطوير الإنسان الجديد؟

للإجابة عن السؤال السابق، يجدر التنويه إلى ملحوظتين، **أولهما:** «أن العالم مكان تتزايد خطورته، وأن أخطاره الجديدة لا تتبدى لنا بشكل مباشر. **وثانيتهما:** أن استجابتنا للعالم الجديد، كثيرا ما تكون غير ملائمة بسبب طبيعة عقولنا وتدريبنا لها، وهذا اللا توافق يهدد بتدمير حضارتنا»(٤٦).

فى ضوء ما تقدم، ينبغى تجديد برامج التعليم، التى تعلم المتعلمين كيفية رفع مداركهم، وأساليب التفكير بطرق جديدة، وطرائق تحقيق التعاون بين بعضهم البعض، وبينهم والآخرين، سواء أكان ذلك داخل المدرسة أم خارجها. أيضا، يجب أن تقدم برامج التعليم العلم النافع، الذى عن طريقه يمكن تقديم معارف متزايدة عن الكون وعن البيئة البشرية وعن العقل البشرى، مع مراعاة أنه من الممكن أن يتعاضد العقلى والروحى لا أن يتعارضا، وأن التفاعل بين التطور البيولوجى والتطور الحضارى قد حور مواقفنا بطرق شتى تختلف باختلاف الزمرة

التى ننتمى إليها، وأن تغير الطبيعة البشرية تغيراً كاملاً، يعد أمراً مستحيلاً بسبب خطوة التطور البيولوجى البطيئة.

ولما كانت المعرفة فى عصر العولمة متخصصة لدرجة، لم يسبق لها مثيل فى أى وقت مضى، لذا فإننا نحتاج أولا اتخاذ نظرة طازجة إلى الطريقة التى نعلم بها المتعلمين، وخاصة فى مراحل التعليم قبل الجامعى. وعليه، لا يجب أن يركز التعليم قبل الجامعى «على تذكر التفاصيل التافهة لفلسفات مهجورة انتهى زمانها، أو أن يكون (التعليم) مجرد كتلة من تفاصيل ثقافية، وإنما يركز على تفهم طبيعة البشرية نفسها: جهازنا العصبى، فسيولوجيتنا، تاريخنا التطورى وتاريخنا المدوّن، علاقتنا بالبيئة، مجتمعنا، أحكامنا الأخلاقية، وإمكانياتنا»[٤٧].

تأسيسا على ما تقدم، يتمثل دور المنهج التربوى فى الاستفادة من العولمة لبناء وتطوير الإنسان الجديد، فى الآتى:

* تغيير تفكير المتعلم، ليفكر فى الحياة الجامعية للجنس البشرى، بدلا من الانغماس فى مشكلات الحياة المحلية، وخاصة أن البشرية وسعت عالمها، وزادت قوتها وسيطرتها، كما أنها لا ترتبط بالموطن الإيكولوجى الطبيعى، إنما تحركت بعيداً عن هذا الموطن، وبدأت فى خلق عالم اصطناعى، هو عالم الحضارات.
* حيث إن مفتاح تغيير المناهج الدراسية هو تغيير عقول الكبار، ومفتاح تغيير عقول الكبار لتصبح عقولاً جديدة، هو فى تدريبهم مبكراً، وخاصة أن الأمرين السابقين متلازمان تماماً، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر. لذا، ينبغى أن تعمل المناهج الدراسية جاهدة، على إذكاء الجدل بالمجتمع فى قضية اللاتوافق بين عقول الأفراد - بما فيهم المتعلمين بالطبع - وبين العالم الذى عليهم مواجهته.
* ينبغى أن يهتم المنهج بتعريف المتعلمين ما هو «الطبيعى» فى تطورنا، وما الذى يلزم الآن تغييره؛ خاصة وأن المعلومات غير الوراثية تنتقل من شخص لشخص ومن جيل لجيل، دون أن يدرك الناس أنهم يقومون بذلك.

* ينبغى أن يزاعى فى تصميم المنهج أن ما نعرفه من إدراكات المخزون المربوطة تمامًا بالجهاز العصبى، محدود للغاية. وبالتالى، يمكن أن نستخلص موضوعات دراسية مهمة، ليتضمنها المنهج، من ذلك الكم الهائل المنشور فى الوهم وفى الإدراك الحسى.

* ينبغى أن يتضمن المنهج، حكايات وتجارب عن الإدراك، يمكن للمتعلمين أن يربطوها ذهنيًا بأنفسهم وأن يجربوها بسهولة، إذ يساعدهم ذلك على معرفة أن عقولهم لا تتحيز فقط للوصول إلى أبسط تفسير ذى معنى لما يقابلونه من منبهات، وإنما تتحيز أيضا للحاجات المباشرة، وخاصة أن آليات الإدراك تعمل بسرعة وإتقان، للدرجة التى تجعل الفرد لا يحس بما يحدث من عمليات.

* ينبغى أن يعمل المنهج على تعلم كل متعلم كيف يستطيع أن يتوصل إلى اتخاذ القرار بأقصر الطرق، وخاصة أنه فى عصر العولمة يكون عامل الوقت مهمًا فى تحقيق الإنجاز، مع مراعاة أن هذه الطرق قد تسهم فى تحقيق قرارات أكثر كفاءة. وحتى إذا لم تحقق ذلك، فإنها تقود إلى أنماط نظامية تجنب المتعلم الوقوع فى أحكام مشوهة.

* ينبغى أن يعطى المنهج الفرصة المناسبة للمتعلمين فى إبداء الرأى، بالنسبة للقضايا المعاصرة وكيفية مواجهة المشكلات، مثل: مواجهة الإرهاب أو توفير الرعاية الطبية للمسنين، حيث يمكنهم بعد إبداء آرائهم، اختبار صحتها بمحاكاة المواقف على الكمبيوتر، وبناء النماذج باتفاق الآراء، والاتفاق على الافتراضات، وطريقة ارتباط العوامل المختلفة ببعضها.

* ينبغى أن يساعد المنهج المتعلم على التكيف مع التغير؛ خاصة وأن تأكيد الحقائق الخالدة فى منهج دراسى ثابت، ليس له أى أساس من الصحة، خاصة وأن هذه الحقائق نفسها سريعة الزوال، وبالتالى فإن الشىء الوحيد الثابت فى الحياة هو التغير ذاته.

* ينبغى أن يهتم المنهج بالمجال الزراعى، لأنه مجال مثالى للتعريف بأنواع

التحليل الطويل الأمد، والتفكير بطريقة «ماذا . لو»، والطريقة التى يعمل بها النظام المناخى، وأن يهتم أيضا بالمجال التقنى، لأنه يعكس الإنجازات التكنولوجية التى يتمتع بها الفرد فى عصر العولمة.

* ينبغى أن يبرز المنهج الضغوط التى يمارسها العالم الطبيعى على نظم البشرية الاجتماعية والاقتصادية، وأن يوضح للمتعلم أن النمو المستمر أمر مستحيل بالنسبة لأى مقدار فيزيائى، وأن يتعرض للفرق بين البشرية التى تعيش على رأسمالها والتى تعيش على دخلها، مع التطرق لمصادر هذا الدخل بربطه بالمناقشات عن الزراعة والدورات الطبيعية والنظم الإيكولوجية، وبذا تظهر أهمية العلم والعلوم الاجتماعية فى المنهج الدراسى.

* ينبغى أن يستخدم المنهج تمرينات الرياضيات، فى توضيح سخافة إمكانية أن يمضى النمو الاقتصادى إلى الأبد، إذ إن ذلك يفند فكرة وجود قوة واحدة، تستطيع أن تسيطر على اقتصاد العالم فى عصر العولمة.

* ينبغى أن يتيح المنهج الفرص المناسبة للتعامل مع المتعلم كراشد، وتشجيعه على التفكير بنفسه فى إيجاد الحلول المناسبة للمعضلات، التى تصادفه أو تقابله فى حياته، وحفزه لإعادة فحص معتقداته وقيمه، ويمكن إتاحة الفرص الملائمة ليحقق المتعلم الآتى:

- البدء فى تحليل ظروف ومتطلبات عالمنا المعاصر.
- المشاركة فى مجتمع محلى كبير كفرد فى مجتمع تكنولوجى.
- المناقشة فى مجتمع ديمقراطى مفتوح، وذلك يتطلب القدرة على تحمل وجهات النظر المختلفة.

وعندما تتحقق أدوار المنهج آنفة الذكر، يكون المطلوب من المتعلمين ليستفيدوا من الفرص، التى يتيحها المنهج لهم، ممارسة المهام التالية[٤٨]:

- أن يتعلموا كيف يسألون.
- أن ينقدوا الآراء التى يعرضها المتحدثون والمدرسون والطلبة وممثلو المجتمع، بطريقة ذكية فى المضمون، غير تعسفية فى المقصد.

- أن يمارسوا ويجربوا الاستماع فى تحفز مهذب.
- أن يقرأوا فى جميع المجالات، وبأكثر من لغة.
- أن يستمعوا لكل الآراء.
- أن يحترموا بعضهم بعضًا فى كل مكان جديد.
- أن يجدوا طريقة لقضاء اليوم المدرسى تجمع بين العمل الجاد والمرح المطلوب.
- أن يمارسوا التسامح والقبول مع الآخر.

* أن يبرز المنهج أن المجهودات الكبيرة للارتقاء بالتعليم لن تحقق أهدافها المنشودة فى عصر العولمة، طالما أنه ينظر إلى التعليم على أنه إشكالية «النظام التعليمى»، ولا يلتفت إلى التشوهات الاقتصادية، التى تؤثر على التعليم بعدم خلق فرص اقتصادية حقيقية، تستخدم مخرجات التعليم بفاعلية فى سوق العمل تتسم بالكفاءة.

المراجع مرتبة كما جاءت بالفصل

(١) عادل العدوى، «الاستفادة من الانفتاح والتطور» ، جريدة الأهرام فى ٢٣/٦/ ٢٠٠٠.

(٢) السيد يسين، «مصير الجنس الإنسانى فى الألفية الثالثة»، جريدة الأهرام فى ٢٢/٦/ ٢٠٠٠.

(٣) ـــــــــ، «رؤية يابانية للعالم» جريدة الأهرام فى ١٨/ ٥/ ٢٠٠٠.

(٤) ـــــــــ، «مصر ومجتمع المعرفة»، جريدة الأهرام فى ٢٠/٧/ ٢٠٠٠.

(٥) سلامة أحمد سلامة، إنسان القرن ٢١»، جريدة الأهرام فى ٢٣/٨/ ٢٠٠٠

(٦) السيد يسين، «نظرة واقعية للإنسان الجديد »، جريدة الأهرام فى ٤٢/٨/ ٢٠٠٠

(٧) جاء هذا الاقتباس فى:
سكينة فؤاد، «وماذا عن القادم بعد..؟! »، جريدة الأهرام فى ١٨/ ٥/ ٢٠٠٠.

(٨) عاطف الغمرى ، «من يقود العالم.. ومن يجلس متفرجًا»، جريدة الأهرام فى ١٠/ ٥/ ٢٠٠٠.

(٩) إدوار الخراط، «عن المطلق والنسبى»، جريدة الأهرام فى ١٧/ ٣/ ٢٠٠٠.

(١٠) أحمد عبد المعطى حجازى ، «ثقافة العقل والحرية»، جريدة الأهرام فى ١٦/٨/ ٢٠٠٠.

(١١) محمود مراد، «الجماعة والمجتمع العلمى فى مصر»، **جريدة الأهرام** فى ٢٨/٧/٢٠٠٠، وفى ٤/٨/٢٠٠٠.

(١٢) السيد نفادى، «التقدم العلمى وعوائقه»، **جريدة الأهرام** فى ١٨/٨/٢٠٠٠.

(١٣) حلمى المراغى، «بناء الدولة العصرية والمنظومة الأخلاقية»، **جريدة الأهرام** فى ٢/٨/٢٠٠٠.

(١٤) أحمد أبو زيد، «أعشاب الفكر الوحشية»، **مجلة العربى** (الكويت)، العدد ٥٠٢ سبتمر ٢٠٠٠، ص ص ٢٥-٢٦.

(١٥) رجب البناء، **المصريون فى المرآة**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص ٢٦.

(١٦) جين جاك سالمون، ترجمة محمد أحمد عبد الدايم، **العلم والتكنولوجيا والتنمية.. قضايا العصر الشائكة**، الطبعة الأولى، الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمى، ١٩٩٨، ص ٤٢.

(١٧) **المرجع نفسه**، ص ص ٣٦-٣٧.

(١٨) على النفيلى، «علم أم صناعة أم تجارة؟!»، **جريدة الأهرام** فى ٢٣/٦/٢٠٠٠.

(١٩) ألفن وهايدى توفلر، **نحو بناء حضارة جديدة: سياسات الموجة الثالثة**، القاهرة: وزارة التربية والتعليم بالتعاون مع المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية (سلسلة الكتب المترجمة: ٨)، ١٩٩٥، ص ٤٥.

(٢٠) رجب البنا، المصريون فى المرآة، **مرجع سابق**، ص ٣٦.

(٢١) هانس ـ بيتر مارتين، هارالد شومان، ترجمة عدنان عباس على، **فخ العولمة**، سلسلة عالم المعرفة (الكويت)، العدد ٢٣٨، أكتوبر ١٩٩٨، ص ص ٢٨-٢٩.

(٢٢) مصطفى الفقى، «التكنولوجيا والحرية الشخصية»، **جريدة الأهرام** فى ٢/ ٥/ ٢٠٠٠.

(٢٣) عبد الكريم درويش، «ماذا عن.. التكنولوجيا الإنسانية»، **جريدة الأهرام** فى ٩/ ٤/ ٢٠٠٠.

(٢٤) مغاورى شحاته دياب، «نهضة المعلومات بمصر»، **جريدة الأهرام** فى ٥/ ٧/ ٢٠٠٠.

(٢٥) محمد سلماوى، **نجيب محفوظ: وطنى مصر**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص ٦٣.

(٢٦) محمد سيد أحمد، «إشكاليات البحث عن لغات للتخاطب»، **جريدة الأهرام** فى ١٨/ ٥/ ٢٠٠٠.

(٢٧) ماهر شفيق فريد، «حول أزمة الحوار فى حياتنا»، **جريدة الأهرام** فى ١٧/ ٤/ ٢٠٠٠.

(٢٨) مصطفى الفقى، «الحوار المفقود»، **جريدة الأهرام** فى ١٨/ ٤/ ٢٠٠٠.

(٢٩) فاروق جويدة، «المثقفون.. ولغة الحوار»، **جريدة الأهرام** فى ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٠.

(٣٠) حامد طاهر، «الحوار وكيف نعلمه للشباب»، **جريدة الأهرام** فى ٢٨/ ٧/ ٢٠٠٠.

(٣١) طارق حجى، **الثقافة أولا وأخيرا**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص ص ٤٠-٤١.

(٣٢) جميع الاقتباسات الخاصة بهذا الموضوع، مأخوذة من:

السيد يسين، «مؤشرات التقدم»، **جريدة الأهرام** فى ٣١/ ٨/ ٢٠٠٠.

(٣٣) على حفظى، «العصر الجديد.. وثروة مصر والإنسان المصرى»، **جريدة الأهرام** فى ٥/ ٤/ ٢٠٠٠.

(٣٤) جابر عصفور، **ضد التعصب**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص ص ١٩-٢٢.

(٣٥) السيد يسين، «التنمية والإبداع (٢)»، **جريدة الأهرام** فى ١٤/ ٩/ ٢٠٠٠.

(٣٦) رجب البنا، «مستقبل الموهبة والموهوبين»، **جريدة الأهرام** فى ١٦/ ٤/ ٢٠٠٠.

(٣٧) عادل الماجد، «كلهم موهوبون»، **مجلة المعرفة** (السعودية)، العدد ٦٣، سبتمبر ٢٠٠٠، ص ١٦١.

(٣٨) طارق حجى، **مرجع سابق** ص ٨٢.

(٣٩) ماجدة أباظة (المترجمة)، «كيف تتصور القرن المقبل»، **مجلة الثقافة العالمية** (الكويت)، العدد ١٠٢، سبتمبر ٢٠٠٠، ص ١٨٨.

وقد نشر أصل هذا المقال فى مجلة Lire الفرنسية، عدد ديسمبر ١٩٩٩.

(٤٠) مصرى عبد الحميد حنورة، **الإبداع من منظور تكاملى**، الطبعة الثانية، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٧، ٣٧٣.

(٤١) جوهان دورشنر، ترجمة عيسى على عيسى، **الحياة فى الكون**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص ٣٧.

(٤٢) سعد شعبان، **الفضاء عصرنا**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص ١٩٠.

(٤٣) **المرجع نفسه**، ص ٢٢٦.

(٤٤) ماجدة أباظة، **مرجع سابق**، ص ١٨٦.

(٤٥) شريف دلاور، «تطبيقات غير تقليدية فى الديمقراطية والتعليم والمجتمع»، **جريدة الأهرام** فى ١٣/ ٩/ ٢٠٠٠.

(٤٦) روبرت أورنشتاين وبول إيرليش، ترجمة أحمد مستجير، **عقل جديد لعالم جديد**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص ٢٠٩.

(٤٧) **المرجع نفسه**، ص ٢١٩.

(٤٨) **المرجع نفسه**، ص ص ٢٤٩-٢٥٠.